

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00585478 1

PJ  
7876  
I92S3











کتاب افری بتلم « صی »

کلمات و اشارات

باحثة البادية

غاية الحياة

ابتسامات ودموع

رجوع الموجهة

المساواة

## فهرسى

صفحة

صفحة

دنا عيد الميلاد ٦١

السامحة الاولى ١

عام سعيد ٦٣

احرصى على قلبك ٤

أجوبة الفتيات ٦٧

ذكرى قلعة بعلبك ٧

وصف غرفة في مكتبة ٧٠

قتل النفوس ١٥

في محكمة الجنائيات ٨٢

رسائلنا اليوم وبالامس ٢٣

« سعادة » ملك اليونان ٩٢

بين الدكتور شمىل ٢٦

ماك سوبنى ٩٥

والسكاتب الامريكى

زواج الملوك ٩٨

الافكار القديمة ٣١

الشباب والموت ١٠١

الى حضرة ب . و . ٣٤

عائدة تنذكر ١٠٥

سلام الله يا مطر عليك ٤٠

حكاية السيدة التي لها حكاية ١١٧

بين الادب والصحافة ٤٢

ساعة مع عيلة غريبة ١٣١

موعظة شهر الورود ٤٧

الحركة بركة ٥٦

وعند ما يراها ينحني قائلاً ( سلمى عليه !

سميحة - ( تتظاهر بعدم الفهم ) أي شيء ؟ ثم تضم

أصابعها وتدنيها من شفيتها وتقول : ( ما أحلى اسمك يا شفيق !

( الستار )



متأملاً) أتمنى ان يكون هذا الغلام أهلاً للكنز الذي هو أنت . ( ثم معاتباً ومداعباً مماً ) وهكذا أفقد اختي ساعة أجدها ! اذا سرق هو كل شيء ، فاذا يبقى لي ؟

سميحة — في صدر المرأة قلوب ، يا فيلسوف ، وعلى كل ان يجد القلب الذي يخصه . ( عائدة الى الموضوع الرئيسي ) خلاصة كل هذا اني اتكل عليك في دحر متاتياس وخريستوبوبولاندوبولوس وشركائهما

شفيق — سندحرهم ! ومعنا الدكتور سالم الذي احترامه لانه ليس على وفاق مع اختك زوجته . . مسكين ! اما سهراتك انتِ على شط البحر فسيكون لك من يرقبها ويجرسها ... يا لعناد النساء ! وفي ما عدا ذلك سندحرهم ، ولنا الفوز المبين !

سميحة — امين ! ( تمضي باحثة عن صولجان «التنس» وشبكته وتنشد ) « ياليله يا ايضاً يا نهار سلطاني » ( ثم تغادر الغرفة بخطوات خفيفات راقصات )

شفيق — ( يخرج الى الشرفة منتظراً مرورها في الحديقة

هذا مستحيل

شفيق — ولكن هي لحظة ان المستحيل ممكن . لو مدّ  
يده غداً وقال ( بلفظ الكلمات بتأن متعمداً ) باللهجة قوله  
« تعالي » ، لو قال بتلك اللهجة « ضعي يدك هنا » فماذا انت  
فاعلة ؟

سميحة — ( حائرة حزينة ) اتركه ، أهرب ، ولا أعود  
ألتقي به . ( ترفع رأسها مفاخرةً ) غير أن الرجل الذي احتمي  
بجماه لا يُخرجني الى الهرب

شفيق — كم تحببته ! ( سميحة تضرب كأن هذه الكلمة  
لمست من نفسها مكاناً مؤلماً فتسبل أجفانها وتسحّ دموعها ببطء .  
شفيق يتأملها ) أإلى هذا الحد ؟

سميحة — ( تفتح عينيها فجأةً وتسال بحرقه ) شفيق ، قل  
لي ! أأظن ان فتاة مثلي ، فتاة عادية مثلي ، تستطيع ان تسعد  
رجلاً حاداً الذكاء ؟

شفيق — ( يبسم بحلم ) أري جميع اعراض المرض باادية ..  
وأراك ككلّ امرأة تبالغين في قدر من تحبين . ( بسكت

سميحة — قد يوجد بين الرجال كمن وصفتَ ولكن  
هو لا يشبههم

شفيق — كلُّ امرأةٍ تُكبرُ بطاها وترفعه فوق  
الآخرين . اقول لك انه يكفي ان يصاحفها ..

سميحة — (بلهجة الغالب) وانا اقول لك انه لا يصاحفني

شفيق — (مرتاباً) ألا تصاحفينه قبل « التمس »

وبعد؟

سميحة — أصاحفه وقتئذٍ ، واصاحفه كلما اجتمعت به

في الاندية العامة كما اصافح غيره من معارفي . اما في تلك

الخلوة القدسية ، فلا

شفيق — أهى معاهدةٌ بينكما؟

سميحة — تعاهدنا ولكن بغير كلام

شفيق — لم تتصاحفا البارحة ، اما الغد فمن يضمنه؟

لومدَّ لك يدهُ ، نعم لومدَّ يدهُ وقال « ضعي يدك هنا »

فاذا انت فاعلة؟

سميحة — (لا تريد أن تتخيل ذلك) : هذا غير ممكن .

سميحة — ( تعود الى خفتها الاولى . مقلدة صوته )  
 « نصحي اليك ألا تذهبي » « لا اريد ان تذهبي » ( ثم  
 بلهجة خطاوية ضخمة واطارة تشيلية واسعة ) اصغني خاشعة ، ايها  
 الشعوب ، فان اخامتا تياس يتكلم !

شفيق — ( متغلباً على نفسه لا يريد أن يضحك ) اسمعي  
 يا بديّة . انت لا تعرفين هؤلاء الشبان ولا تسمعين  
 ما يذبحّون به امام بعضهم بعضاً . يكفي الواحد منهم ان  
 يعرف فتاة معرفة سطحية وان تكون علاقته بها اجتماعية  
 محضة ، فتجاهله بمجالة تقضي بها الاصطلاحات ، بل قد يكفي  
 ان يراها مرة واحدة ليذكرها بلهجة توهم انه واقف على  
 جميع دخائلها . لو علمت النساء جميع التعليقات ، والملاحظات ،  
 وانصاف الابتسامات ، وانصاف النظرات ، وصنوف  
 السكوت الخبيثة التي يشفعُ بها ذكرهنّ اوائك المتملقون !  
 آه لو علمت النساء الغافلات !

سميحة — شرير منك ان تعمد الى الوشاية

شفيق — هذا هو الواقع مع الاسف



الضواري وأشكال الكواكب . ينبسط امامها البحرُ بمروجهِ  
المائية وتنهده العميق الفسيح . هناك تحت عيون النجوم  
أجلسُ على مقربةٍ منه ، اجلسُ في حماه ، فيتناجى هو  
والبحر صامتين واظللُ حابسةً انفاسي لاستمتع لنجواهما

شفيق - ( مأخوذاً بهذا الشيء الجديد الذي لم يعهده فيها ) :  
أشاعرة انت ! حقاً ان المرأة لغزٌ . ( ولكنّه يعود الى ما يشغله )  
ومن ذا الذي اكتشف هذه الخلوّة ؟

سميحة - ومن ذا الذي يصنع الاعاجيب غيره ؟  
اكتشفها وقال « تعالي » فذهبت

شفيق - ( غير مسرور ) أيكفي ان يقول « تعالي »  
لتذهبي ؟

سميحة - ( تملأ عينيها مشاهد بعيدة ) يكفي ان يقول  
« تعالي » لاذهب

شفيق - ( جاداً ) انصحك ألا تذهبي بعد الآن .  
( سكوت قصير . ثم يقول أمراً وبقوة هادئة ) لا اريد ان  
تذهبي . أتفهمين ؟

واحداً (تهز رأسها لتخفي خجلها) وانت اخبرني اسرارك : بين  
الكثيرات المفضلات على الكثيرات ، والقليلات المفضلات  
على الاخريات ، ألا يوجد واحدة . . .

شفيق — (يأتي اشارة مبهمه ونظره يتبع خطوط حلم بعيد)  
ليس هذا من شؤون الفتيات . وساروفيمك هذا من  
ابطال « التنس » ؟

سميحة — ان ذكائك لدهش ! هو زميلي وقد غلبته  
مرات مع انه لاعبٌ ماهر

شفيق — وقد نال حظوة في عينيك لأنه لاعبٌ  
ماهر أم لانه مثل دور المغلوب ؟

سميحة — (تحلم) لست ادري . انه يجذبني خصوصاً  
ونحن وحدنا في الليل على شطّ البحر

شفيق — (متبرّماً) : وحدكما على شطّ البحر ، وفي  
الليل ، ما هذه الحكاية ؟

سميحة — (تغير ملاحظها وتجللها انهيمة والعظمة) : هناك  
عطفة تؤدي الى الشط حيث طائفة صخور لها صور

شفيق — ( مؤاسياً ) هونني عليكِ ! وماذا يقول  
متاتياس ؟

سميحة — وماذا يُنتظر من رجلٍ لا قيمة عنده إلا  
للمال ، وكل اسمه متاتياس ؟

شفيق — ( يضحك ) لست أدري لماذا أعطوه هذا

الاسم

سميحة — يظهر ان ابن جارة يونانية لنا كان يُدعى  
به . وربما كان نبوءة بأنه سيقترن بامرأة يونانية من ذوي  
قرباها خريستوبوبولا ندوبولس هذا

شفيق — ممكن ( يضحك ) . ثم تعود اليه هيئة التفكير شيئاً  
فشيئاً ) اذاً تتخوفين الارغام ؟ أزعجك الارشاد المتتابع ، أم  
في هذا القلب الصغير شيء آخر ؟

سميحة — أنت طيب بجميع الرجال الاذكياء

شفيق — ( يتفحص وجهها بدقة ) وكيف عرفتِ جميع

الرجال لتعلمي ان الاذكياء منهم . . . . .

سميحة — ( مشرقة الوجه ) أعرف الجميع لاني أعرف

شفيق — لا يهمني ! لقد هنتُ على الآخريين فهانوا  
 هم عليّ . لا يهمني شيء  
 سميحة — فهنتُ اني لا أهمك وانك لا تريد أن  
 تعتنى بأمرى . أعدتَ لتقول هذا ؟  
 شفيق — عدتُ لأقول . . . ( بتردد ) أراك غير  
 راضية

سميحة — حقاً لستُ راضية . اني شقية  
 شفيق — ( لا يريد أن يتأثر ) لستِ جادة  
 سميحة — وهل من شقاءٍ أوفر جدّاً من أن تقصد  
 زوجة متاتياس أن تزوجني لاحد أقاربها واسمه  
 خريستوبوبولاندوبولس  
 شفيق — ( يرفع يده كمن يقي رأسه لطمة ) يا حفيظ ! ما  
 كل هذا ؟

سميحة — كل هذا اسم واحد . ( يأسية ) اسم يملأ  
 بطاقة الزيارة من أولها الى آخرها



حَمَّامَاتِ البَحْرِ ، ولَعِبِ الكُرَةِ ، والسَهْرَاتِ الرَّاقِصَاتِ ،  
والسِينِمَا ، والتِيَّاتُرُو ، ومَغَاظِلَةَ اِبْنَاءِ الوَجْهَاءِ امْثَالِ اخِيكَ ؟  
تَعْزِي بِالْاَثْوَابِ الْجَدِيدَةِ ، وَالْقَلَائِدِ الْكَثِيرَةِ ، وَالْكَعَابِ  
الطَوِيلَةِ ؛ تَعْزِي وَلَا تَحْزِنِي ! ( يَنْظُرُ اِلَى سَاعَتِهِ ) مَضَى الْوَقْتُ  
ارْجُوكْ اَنْ تَدْعِيَنِي اَخْرَجْ

سَمِيحَةٌ — ( بَتَانٍ ) : قَلْتُ اِنِّي فِي حَاجَةٍ اِلَيْكَ

شَفِيقٌ — ( يُخْرَجُ مِنْ جَيْبِهِ مَفْكَرَةً وَقَلَمَ رِصَاصٍ ) : صَحِيحٌ ،  
نَسِيتُ ، بِإِذَا تَرِيدِينَ اَنْ اَجِيئَكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ( مَمْتَضِرًا اَنْ  
تَتَكَلَّمَ لِي كَتَبَ ) بَوَدْرًا ؟ خَضَابٌ ؟ عَطْرٌ ؟ زَهْوَرٌ ؟ شَكُولَاتَا ؟  
اَيُّ شَيْءٍ ؟

سَمِيحَةٌ — ( يَظْهَرُ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهَا . وَتَمْسَحُ لَهُ الطَّرِيقَ قَائِلَةً ) :

لَكَ اَنْ تَخْرُجَ

شَفِيقٌ — ( يَخْطُو الْعَتَبَةَ وَهَنَّاكَ يَتَرَدَّدُ ذَا كَرًّا خَشْوَتَهُ . ثُمَّ  
يَلْتَفِتُ وَيَعُودُ نَحْوَ سَمِيحَةٍ وَيَنْظُرُ فِي وَجْهِهَا مَتَمِّمًا مَا يَشْبَهُ الْاِعْتِذَارَ ) :  
اِنَّكَ لَا تَتَقَمِّينَ عَلَيَّ ، اَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟  
سَمِيحَةٌ — وَمَاذَا يَهْمُكَ ؟

بالناس ، اسمع ثرثرتهم ، شاركهم فيها ، اخرج الى الهواء الطلق ،  
تعاطَ الالعب الرياضية . العب ، العب ، كن من ابناء  
جيمك لئلا تتعذب كثيراً

سميحة - ( تقمز ضاحكة ) : سامني مريضك فأمرضه

يا دكتور ! ( الى شفيق ) تعال معي الى الهواء الطلق ! تعال

وكن رابع رفقائي في دور « التمس » هذا الصباح ! ( يخرج  
الطبيب مسلماً ويحاول شفيق اتباعه فتسد سميحة الطريق قائلة ) :

لا تذهب هكذا . لئن ساءني ان اراك غاضباً فانه يحزنني ان

اراك حزيناً . وعندما يضايقوك يضعف احتمالتي وينفد صبري

شفيق - ( برود ) : يحزنك ! يسؤك ! انك مثلهم جميعاً

سميحة - ما اجهلك بي لماذا لا تنظر اليّ ؟ لا ادري

أأنت محقّ ام متايماس ، ولكن ميلي معك

شفيق - ( بلا اكتراث ودون ان ينظر اليها ) : عجائب !

سميحة - لو علمت اني في حاجة اليك ، واني شقية

مثلك في هذا البيت لما كلمتني بهذه الالهجة

شفيق - ( يتكاف الالهام التمثلي ) : شقية انت بين

كلمة محبة ، بلا نظرة اهتمام لليتيم الصغير الذي كنته . وكم كنت مستعداً لأحبه ! وكم كنت اتنى ان يتركني احبه دون ان يجمّد قاي ! ولو عامت اليوم انه ينصحني مهتماً مخلصاً لسعدتُ بالتنازل عن رأبي وسارعتُ الى اتيان ما يشتهي . ولكنه ينصحني ليجعل لنفسه اهمية وليداني ؛ ولو اذعنت لكلامه لحظةً ما تأخر عن تغييره في اللحظة التالية ( يتنهد ) لا استنشق في هذا البيت غير هواء المقت والكظيمة . انهم ينظرون اليّ كدخيلٍ مغتصب . وهذه امراض عضالة لا تستطيع معالجتها يا دكتور ( تلتقي عيناه بعيني الطيب وهو ينظر اليه طويلاً بعطفٍ يشبه المصادقة . فيهرز رأسه فجأةً ويجاوب ) ( الابتسام ) استميحك عفواً فقد مزجتُ قهوتك بالشكوى . ( يهرز كتفيه ) ما احقر الشكوى وما احقر الشاكي ! ( يتغلب على نفسه ويرسل زفرة عميقة ) انتهى يا دكتور

الدكتور - ( متجهماً نحو الباب ) : نصحي اليك ، وان كرهت الناصحين ، ان تخرج من نفسك بقدر الامكان . ان عكفك على ذاتك يزيد عواطفك رقةً وتهيجاً . احتك

حياتي كما اريد؟ عجباً! الألام لأني لا افضي ليالي حول الطاولة الخضراء، ولا أصرف نهاري بين سباق الخيل، وصيد الحمام، وحانات الرقص والشراب؟ كنت وما زلت اعتقد ان من كانت هذه حياته حقاً عليه الملام، وها أنا الذي أطلب الهدوء والوحدة أقابل بالشغب والعبوس.

( يصمت أسفاً لانه تكلم ، الا ان الكلام يعود متدفقاً من بين شفتيه )  
يُعيرني انه رباني صغيراً . والله يعلم كيف رباني ! انه أدخلني المدرسة وهل كان بوسعه أن يفعل أقل من ذلك ! ويقول انه بمثابة الاب لي فأبي حنوٌّ وطد هذه الابوة ؟ كنت أقضي في المدرسة شهوراً طويلاً دون أن أراه ، واذا زارني هو و... وهنَّ حملوا اليَّ الحلوى واللعبات وكل ما تجلبه الدراهم ولكنهم لم يكونوا ليعطوني منهم شيئاً . الدراهم أورتنيها أبي مثل ما أورتهم . أما قلوبهم فكانت محتومة كالقبور . كنت أبكي - أسمع يا دكتور ؟ قلتُ أبكي - كنت أبكي عند ما أرى رفاقي في احضان ذويهم محبرين مدللين ، أما هو فكان يأتي ويذهب بلا قبلة عطف ، بلا



وما هي قيمة الرأي يا ترى ان لم أطلبه انا؟ وقد أطلبه واسمعه دون ان اتبعه . ثم اذا استشرت غيري كل خطوة فكيف اعرك الامور فأخطىء هنا، واصيب هناك ، واكتسب من الفشل والنجاح اختباراً هو في الحقيقة اكبر واقدر ما يقود المرء في هذه الحياة المتشعبة السبل ؟

الدكتور - الرأي حسن ، يا شفيق ، عندما تطلبه وتكون في حاجة اليه

شفيق - ( متحمساً ) : حسن في هذه الحال وقبيح في ما عداها . عندما اتصدك مستشفياً اعلم انك تستطيع شفائي فاذعن لاوامرك واقبل نصائحك . وعندما اسألك رأيك اعتبرك قادراً على وضع نفسك مكاني والشعور معي ، حقيقاً بأن تقودني في طريق سلكتها واختبرتها قبلي . ولكن ما قيمة الرأي عند غير اهله ؟ كيف يرشدني في الموسيقى من لا يتقن الا النجارة ؟ كيف يصلح اغلاطي اللغوية من كان صحيحه مغلوطاً ؟ كيف يعامني الصينية من لا يعرف عدد حروفها ؟ ثم كيف هو ينهاني عن قيادة زورق

شفيق — في الحياة أمراض لا يداويها الضبّ ،  
يا دكتور

سميحة — ( بعطف أكيد ) : لقد أنهكوا قري هذا  
الولد المسكين

الدكتور — ( يشرب القهوة واقفاً ) : كذا ؟ وأي ذنبٍ  
جديد جنيت ، يا كثير الذنوب ؟

شفيق — هو الذنب الاكبر الذي لا ينتهي . وهل  
ينتظرك في المدينة مريض ما ؟

الدكتور — : لا تغير الموضوع . اخبرني عن ذنبك  
الجديد

سميحة — سهر البارحة في النادي . وظلت غرفته  
منارة حتى الساعة الثالثة صباحاً . وابتاع ارغناً . وقال انه  
« حر » . هذه قائمة الذنوب الجديدة

شفيق — ( لا يلتفت اليها ) : ذنبي الذي لا يغفر هو اني  
لست طفلاً . أريد ان افكر بنفسي ، وأعمل انفي ، وأعتمد  
على نفسي . وهم يقذفون عليّ بأرائهم ونصائحهم في كل حين .

الفجائية ! هذا عنوان اعلان تجاري رآه في جريدة هذا الصباح قرب أخبار البورصة . « هنا ينهض متائاس بعظمة تبعه زوجته ومدام سالم ويتجهون نحو الباب . وعندما يصل متائاس قرب أخيه يتهم قائلاً : « ابق على حريتك لنرى الى أين تقودك » ثم يخرجون وشفيق مهمم بملس الزبدة على كسرة خبز في يده . وبعد ان يتعد وقع أقدامهم يجيل النظر فيما حوله فيرى انه وحده فيحمل فوطته ويلوِّح بها في الفضاء كمن يطارد الذباب . فيسمع صوتاً يتكلم وراءه ويلتفت فيرى الدكتور سالم مشيراً نحو الشرفة حيث سميحة تسقي الازهار )

الدكتور سالم — ( مخاطباً سميحة ) : أسمحين لي ببنجان قهوة صغير ؟

سميحة — اسمح ببنجان قهوة كبير (تدخل من الشرفة وتدنو من المائدة )

الدكتور — أشكر لكِ كرمًا لن اتتبع به . يجب أن أذهب الى المدينة في الحال ( مخاطباً شفيق ) كيف الحال ، يا سي شفيق ؟

شفيق — (هزُّ كَتْفِيهِ) : قدأ كون مجنوناً لأنني  
لستُ مثل... .

متاتياس — (متسماً بفكر شفيق) : مثلنا نحن ، أليس  
كذلك ؟ نحن عقلاء نعمل لجميع الناس ، ونجتمع بالوجهاء  
أمثالنا ، وألعابنا ومسراتنا معقولة معتبرة كما ان أشغالنا  
شريفة كثيرة الأرباح . أما أنتَ فانظر الى ما تفعل  
واذكر من تعاشر . وأنا أريد أن اصالحك رحمةً بكَ وخوفاً  
على مستقبلك فتقبل نصحي كالمجنون اللاحق

شفيق — (بهدهء حزين) : حدثني عن رحمتك...  
إني حتى الساعة لم ألمح خيالها...

متاتياس — (يتكلف الشفقة المتناهية) : وماذا ينفع الذكاء  
والدرس ان لم يقدهما النصيحُ والرأي ؟ اعلم ، ايها المغرور ،  
انه كما قال الشاعر العربي (بفخامة وتأنٍ في الالفاظ) « الرأي  
قبل شجاعة الشجعان »

( شفيق ينظر الى أخيه بعينين واسعتين دهشتين وفيهما خيال الضحك .  
فتهمس له سميحة بسرعة : « لا تدهشَنَّكَ هذه الفصاحة

مَنْ يسمِعُكَ قائلَةٌ اني أسير في « سبيل الضلال » يحسب  
اني . . . ( يصمت فجأة اذ يأنف متابعة جدال كهذا ، ثم يقول بشيء  
من المראה ) تلوموني لاني لا أطيل الجلوس معكم ، وهل من  
عجبٍ وكل جلسة كهذه الجلسة ؟

متاتياس — ( يتخنخح كعادته ليقول شيئاً خطيراً ) : وكم  
دفعت ثمن الارغن الذي جئتَ به البارحة ؟

شفيق — ( بتأدب ) : هذا امرٌ لا يعني غيري

متاتياس — ( يقضب حقيقة هذه المرة : ) شوونك المالية

لا تعنيني ؟

شفيق — ( ينجح في ان يكون هادئاً كالاول ) : انها

لا تعني غيري في هذا الموقف لاني ابتعتُ الارغن بما توفر  
لدي من مصروفاتي الشهرية . وانا حرٌّ في ان اشترى  
آلة موسيقية تسرنى ولا تؤذي احداً

مدام سالم — هو « حرٌّ » من جديد . هو « حرٌّ »

كل مرة

متاتياس — ألسنتَ مجنوناً ؟



شفيق — ( منأماً في ذكائه لمناقشة هذه الرؤوس الحاوية ) :  
 ها قد ابتلينا بموضوع جديد ! وهل كلمة « أنا حرّ » ، هذه  
 الكلمة التي تُثبتُ وجود الانسان امام الوجود ، هل هي  
 أئيمة الى هذا الحد ؟ إن لي ذوقى وميولي ومطالبي ورغباتي  
 وكلها تختلف عن ذوق اخي وميوله ومطالبه ورغباته . لا يعني  
 هذا اني أفضله او انه يفضلني . كلُّ طبيعة حسنة منسجمة  
 في ذاتها . ولكنه عندما ينصحني ويعنفني يقدرُ اني مثلهُ تماماً ،  
 ويجردني من نفسي ، ولا يتصورُ اني أختلف عنه كل  
 الاختلاف . فبذا لو تقاهمنا مرة واحدة ووضعنا حدّاً لمثل  
 هذه المناقشات . لكلِّ منأً فطرتُه وحريرته ؛ ولي حريرتي  
 وأريد أن أتمتع بها

مدام سالم — ( وقد طفح كيل تعجبها ) : يا ابني دا  
 اخوك . يكبرك بعشرين سنة . دا رباك زي أبوك . دا هو  
 احتضنك ورباك . وانت مخطىء تتبع سبل الضلال ، وما  
 يجي ينصحك تقوم انت تتجاسر تقول له « أنا حرّ »  
 شفيق — ( متبعباً باهتمام تحمّي هذا المنطق الاعوج ) :

الآن وجنته، وجنته وأفقرته؟ أتريد أن تعيش مستعطيًا  
ذليلًا؟ السننخن أفضل من هذه الوريقات عدّة ابليس؟  
أليس مجلسنا أهلاً لك حتى تقضي الساعات مسجونًا في  
غرفتك، وعندما تخرج الينا لا تعطينا غير الدقائق التي  
تقضيها على المائدة؟ أهكذا يصطاف الناس، أهكذا  
يتنزّهون ويعيشون؟ أتعلم ان امرك صار يشغني الى درجة  
القلق؟ ساعدك الله على حياتك كيف تكون!

شفيق — (بحرك السكر في فئجانه بهدوء ويحمل هذه  
الوعظة بتجدد من اعتاد سماعها. يتكلم بأدب وورصانة) : يسووني  
أن أكون سببًا لزعاجك. ولكني لا أستطيع تغيير فطرتي.  
ثق بأني لن أفعل ما يؤذيني بل أنتع بحريتي باعتدال.  
أحب ان أشعر بأني حرّ مطلق الحرية

مدام سالم — (تشهق متعمّلةً التمتع والغيظ) : أخوك  
يريد خيرك وينصحك وانت تقول له «انا حرّ»؟ نحننا  
ياالله من أولاد الجيل الجديد دا!

أغاني — دا ايه دا يا شفيق؟ انت تبقى حرّ ازاي؟

أن تتحجر انتحاراً؟ أتظنّ اني سأحتمل هذا طويلاً دون  
 أن أدعك تشعر بأن لك من يسيطر عليك؟ في الليل بدلاً  
 من ان تفعل كسائر الخلائق فتسهر في تياترو أو في سينما...  
 شفيق - (مقطعاً بأدب) : وهل من شروط الخليفة  
 ان تسهر (مفحّماً اللفظة) الخلائق في تياترو أو في سينما؟  
 متاتياس - (دون أن يلفت لمقاطعته) ... أو معنا نحن  
 أهلك فانك تذهب الى مجتمعات الدعوى، والكلام الفارغ،  
 والعقول المرقّعة التي تسميها اندية الأدب والمناقشة واخطابة  
 (أغابي ومدام سالم يبادلان اشارة أسف وتتهدان عالياً جداً) وتعود  
 بعد نصف الليل الى كتبك الشيطانية كأنّ نور النهار  
 لا يكفي لاضعاف بصرك واتلاف صحتك وتقصير  
 حياتك...

اغابي - (تتهند مرة اخرى) : يا سلام!

متاتياس - (ينظر اليها شزراً لجرأتها على مقاطعته. ويتابع  
 متغيظاً) : كانت غرفتك منارة عند الساعة الثالثة فمتى نمت  
 ومتى استيقظت؟ ألا تعلم ان الكتب لم يتاجر بها متاجر

## المكان

منزل نخم في رمل الاسكندرية

الوقت .

بعيد الساعة التاسعة صباحاً

متاتياس — ( جالس أمام المائدة يتناول طعام الفطور والى  
 يمينه زوجته ، والى شماله شقيقته مدام سالم وسميحة . يتحدثون عن  
 أشياء عادية كالغص الذي تألم منه الولد ، والخصام بين الخدم ، والخسر  
 على طاولة البكارا البارحة ، ولم ربح الجيران من مدخول البوكر في  
 الشهر المنصرم الخ . يدخل شفيق بلا تسرع ويجلس بهدوء في مكانه  
 قرب سميحة . متاتياس يرقبه بشيء من الاستياء ثم يتنحى ليجلو  
 صوته ولينذر السامعين بأنه سيقول شيئاً خطيراً . مخاطباً شفيق : )  
 صح النوم !

شفيق — ( بعد سكوت قصير ) : لم أكن نائماً ، أنا آتٍ

من حمام البحر

متاتياس — من حمام البحر ؟ إذاً هذه الليلة لم تم

كعادتك ؟ ( شفيق يصب القهوة في فنجانه مُعرضاً ) إذا تريد

## ساعاته مع عيلة غريبة

### الاشخاص

- متاتياس - مالي من رجال البورصة  
 أغاني - زوجته يونانية الاصل تظهر اللكنة الاعجمية  
 في لفظها  
 مدام سالم - اخته الكبرى ضيفة عنده مع زوجها  
 الدكتور سالم - صهر متاتياس  
 سميحة - أخت متاتياس الصغرى . عزباء تسكن معه .  
 وقد توفيت والدة هؤلاء الاخوة الثلاثة على  
 أثر ولادة سميحة  
 شفيق - طالب في مدرسة الحقوق . أديب وموسيقي .  
 أخو متاتياس لايه وقد توفيت والدته كذلك  
 بعد وفاة أبيه . بصغر سميحة بمامين أو أكثر  
 قليلاً



حماسية حزينه من وضع تهوفن وهي « مارش جنازة البطل »

( Marcia funebre d'un eroe )

\*\*\*

رأيتُ البارحة ، في حديقة بضواحي القاهرة ، السيدة ذات الحكاية . فهمتُ الآن لماذا يتغير معنى عينيها ؛ وائن لم أدرك بعد تماماً ماذا تعني كلمة « حياة بترء » فاني أدرك ان الحياة تهيب ، لبعضهم ظروفًا لم يحلموا بها ، ولو حلموا لتلافوها مشياً على الاشواك والحجرات . وعلمتُ أن في ذلك القوام المعتدل ، وفي ذلك الهيكل الذي يمثل القوة والانفة قلباً ، قد يكون جرحه الحبُّ الصادق يوماً إلا أنه اليوم يعذبه سرطانٌ تمدد منه الاصول في جميع نواحيه ، ذلك السرطان العريق الذي لا يقتلع : احتقار الحياة وعدم الثقة بالناس

قال « يقول الذين يعرفونها انها عجوز شمطاء  
ويتعجبون كيف يرضى بها هذا المتوقد المتأنق جارية ». ثم  
أطرق قليلاً وقال « ولكن ليس للشباب والجمال دخل  
في هذه المسائل . الجمال يُبحث عنه في الصالون ،  
والمرسح ، والاجتماع ، والشارع ، والمرأة المليحة . تجذب  
النظر عادة أكثر ممن كانت أقل ملاحظة . على أن تأثيرها  
لا يتعدى ذلك والتاريخ شاهد على قولي . وأقرب شواهد  
التاريخ نجدها في ولي عهد النمسا الذي نشبت الحرب اثر  
مقتله ، وهو الذي أعرض عن جميع الارشيدوقات النمساويات  
الباهرات الجمال ، وعن جميع الاميرات في الدول المملوكة ،  
وتنازل عن العرش والتاج غير مرة ليمتزج بمن هي أقل  
النساء ظرفاً وحسناً . وهي الكونتس دي شوتك وصيفة  
إحدى قريباته ، التي صارت بعد زواجهما الدوقة دي  
هو هنبرج وقد قتلت معه في مفاجئة سراجيفو »

وعدل السنيور ف . جلوسه وأخذ يعزف قطعة

المظلوم امرأة والظالم رجلاً . لذلك ترين الناس يؤولون كل حركة تأتيتها لأنها حلت على ألسنتهم وصارت لافواههم مضغة سائغة . ولو قضت أيامها بالصوم والصلاة والتقشف لما أنصفوها . ومهما نقدتهم الثمن غالياً فلا يدعونها ذلك . الاعتبار الوهيمي الذي ينزلقون به لدى أهل الجاه والثروة والسلطان ، أو لدى من اتقن « البلف » عليهم . فأني غاية لهذه المرأة من الحياة ؟ لا هي طليقة تتصرف بأيامها ولا هي مقيّدة تجد في تحطيم قيودها تعزية وسلوى . هذه حياة بترء أشقاها الرجل كما بتر وأشقى مثلها وقبلها كثيرات . . . »

قلتُ « ولكن كيف لم تشعر هي خلال الخطبة انه يخادعها ؟ »

قال « لا أدري كيف لم تفهم هي ولم يلمح أهلها شيئاً من ذلك »

قلتُ « لعلّه تزوجها مخلصاً الا انه ظلّ يفكر في تلك التي ربما كانت على جمال عظيم »

اخرى ، وكان يحتاج الى نقود فكان الزواج اسهل وسيلة  
للفوز بحاجته . وبعد ثلاثة اسابيع اختفى «

— « وكيف اختفى ؟ »

— « خرج من منزله ولم يعد . فحنت زوجته في الايام  
الاولى اذ ظنت انه قُتِل . ومَرَّت الاسابيع فشاع خبر سفره  
مع زوجته الاولى . فارتسوا يبحثون عنه في بلده بايطاليا -  
وهنا غصَّ السنيور ف . بريته لانه ايطالي - ولكن ذهبت  
اتعاب البوايس سدى ، ولم يجدوا له أثرًا الا في ايطاليا ولا  
في غيرها من بلاد الغرب . ولم يطل حتى توفي والده هذه المرأة  
التي عُذرت في شبابها ، وفي جها ، وفي مالها ، وفي مركزها .  
فامست وحيدة فقيرة ، والكنيسة لا تحلُّ زواجهما لان  
الرجل لم يكن مرتبطًا مع زوجته الاولى بزواج كنسي بل كان  
زواجه اتفاقياً فقط . القانون يعاقب على هذا ولكن كيف  
يصل القانون الى من ضاع في المجهول ؟ ولو كسرت الكنيسة  
زواج المرأة لظلَّ الناس في ريبسة من أمرها ، لأن المظلوم  
أكثر تعرضاً للشبهات والتخمين من الظالم ، لا سيما اذا كان

« كم أشقت المرأة ، من رجلٍ ، وكم مزقت من شملٍ ، وكم كسرت من قلبٍ ! ولكن مسكينة هي عندما لا تكون شريرة ! مهما علت في عين نفسها ، ومهما تحررت من قيودها ، ومهما بالغت المناديات بحقوقها في رفعها الى مستوى الرجل فان حياتها ، كل حياتها ، تظل في قبضة هذا الرجل الذي تزعم انها مثيلته وما هي في الواقع سوى ما يريد هو أن تكون . فاذا كان حراً نبيلاً جعلها حرة نبيلة ، وان كان ذليلاً حقيراً حقرها وأذلها . فهي العوبته ، وهي عبده ، وهي الشيء الذي يتصرف به في سائر الأحوال . وبعض ذوي الضمائر من الرجال تروعهم هذه السلطة على المرأة ، وهذه القدرة التي تهزأ بتقارب السياسة والاجتماع لأنها أقوى من الاجتماع والسياسة وأمكن باستنادها على الطبيعة نفسها . فيحججهم عن الزواج خوفاً من نفوسهم »

ضايقتني هذه التعليقات على أهميتها لاني كنت أرغب في استماع البقية ، فقلت « ثم ماذا جرى ؟ »

قال « جرى ان ذلك المتحذلق كان مقترناً سرّاً بامرأة



قلت « أعرف عنها نتفاً مبعثرة . ومن ذا الذي يستطيع أن يرسم حياة امرىء صورة جلية من كلام الناس ؟ »

فتنهَّد مرة أخرى ، ووجرت أنامله بسرعة على السلم الموسيقي كأنه يسرح شيئاً من أسفه أو يبحث عن أسلوب جديد لحكاية قديمة . ثم غشت نظره سحابة وقل « كان والد هذه الفتاة قاضياً في المحاكم المختلطة وهو على جانب كبير من العلم والذكاء ، فعلمَّ ابنته وثقَّفها أحسن تثقيف . ولما جاء وقت الزواج جرى لها ما يجري لفتيات كميرات ، أي أن والديها انتقيا لها خطيباً أجنبياً مثلها رأيا فيه ما يُملق مطالبهما الاجتماعية . وكان على الخاطب مسحة من الجمال فلم تعارض . ورضيت كما ترضى الكثيرات من اخواتها ليفرحن بالأثواب ، والأساور والحريّة المنتظرة . فتزوجت في عرس نفخ دُعي إليه أعيان الجاليات الاوربية . ولم يكن حتى استولى الزوج على البائنة المتفق عليها »

وقف الاستاذ عن الكلام وقد بدت على وجهه سيماء الخجل والرحمة والاحتقار جميعاً . ثم قال بعد سكوت قصير

\*\*\*

جلس الى البيانو وقبل أن يبدأ تكلمنا عن «الكونسرت»  
وتبادلنا الآراء في أصوات المذشرين والمذشدات حتى وصلنا

الى ذات الحكاية . فمأثته «أهي من تلاميذك ؟»

أجاب «كلاً ولكنها من تلميذات السيدة .  
وقد اجتمعتُ بها عندها غير مرة»

قلت «أسمعهم يلقبونها تارة بالمدام وطوراً بالدموازيل،  
أمزوجة هي أم عزباء ؟»

فتنهده وقال «يا لها من امرأة مسكينة !»

فقلت «وهل من ظروف حياتها ما يحرك الشفقة  
الى هذه الدرجة ؟»

فقال «ومن ذا الذي لا يشفق على امرأة جمعت بين  
الحسن والذكاء والصلاح وهيأها الطبيعة لتسعد وتسعد

فلم يكن نصيبها الا الشقاء ؟»

قلت «أي شقاء تعني ؟»

قال «كيف ؟ ألا تعرفين حكايتها ؟»

ولكن بدلاً من أن يأتي في الساعة الحادية عشرة ،  
وهي الوقت المعين ، جاء قبل الظهر بعشر دقائق . دخل  
يفرك يديه وعيناهُ تلمعان وراء زجاجتي نظارته . فتذمرت  
وقلتُ « انك لا تبالي بوقتي يا استاذ . لقد أتلفت صباحي ،  
بل نهاري كله ! » فضحك ضحكة ابتدأت في قرار معتدل  
وانتهت في ما يشبه زقزقة الطيور وقال : « أنا لستُ استاذ  
رياضيات لألزم بالمجيء في الوقت المعين » . وفرك يديه  
من جديد ليستشهد بالمثل الفرنسي القائل « بعض  
التشويش ضروري لتجميل الفن » . قلت « ولكن  
وقتي . . . » فقاطع قائلاً « الدرس ، الدرس » وسمع الجيران  
مدة ساعة طويلة تلك الضوضاء الخاصة التي يحدثها التمرين  
والمراجعة في حضرة المعلم

ولما انقضت الساعة بإجهد وسلام طلبت حقي .  
والسنيورف . يعزف لتلاميذه القطعة التي يطلبونها اذا  
كان راضياً عنهم . وحقي الذي طلبته يومئذٍ قطعة موسيقى  
روسية كان قد عزفها في حفلة اليوم السابق

على البيانو متجددة كل يوم ، مدهشة كل مرة  
 في تلك الحفلة غنت السيدة التي لها حكاية الا اني  
 لم أجد من يحدثني عنها ، ربما لان أكثر الحضور من أهل  
 الغواة . فكلمنا عزف عازف او انشدت منسدة زف الجمع  
 التهاني الى ذويه وذويها ليضمنوا بذلك تهاني ، تزف اليهم عند  
 ما يعني اولادهم ويعزفون . تلك المرأة لم يكن لها اهل ،  
 ومع ذلك فقد أحدث انشادها تأثيراً كبيراً وأثار تصفيقاً  
 حاداً لم تكن تقابله هي بغير السكون . وقد اطلت من عينها  
 لهيب قاتم عميق وارتدت ملاحظها هيئة أمره تبعدها  
 عن الشباب والشيخوخة معاً ، وتجعلها شبيهة بالتمثيل التي  
 لا تتغير شاراتها وتظل في اوضاعها ثابتة على الدوام  
 فكرت فيها طويلاً ذلك المساء ، والفت من كل  
 ما سمعت عنها رواية كئيبة فقلت لنفسي « يا للخسارة !  
 لماذا تتجاهل هذه المرأة ذاتها ؟ لماذا لا تنسى انها حسنة  
 فترتفع الى القمة التي أراها أهلاً بلوغها ؟ »  
 وفي الغد جاء السنيور ف . ليعطيني درسي الموسيقى

عادية ويكتفي بها غير متخيل وجود ما يفضاها. ثم تتألقان سعيدتين كأن الحياة أشبعتهما مسرات لطيفة هادئة وحققت منهما بعيد الاماني . إلا اني كنت أحبهما عندما تذبلان وينطفئ نورهما كأن صاحبتهما شاخت في أسبوعين خمسين عاماً . ثم التقي بها مرة أخرى فأحسبها في ثوبها الوردى ، وبرنيطتها المرفرفة على وجهها ، طفلة تنتظر من الوجود جميع صنوف الهناء

\*\*\*

أقامت يوماً نخبة عواة حفلة موسيقية في قاعة الاعياد الكبرى بفندق شبرد . وقد اشرف على تنظيمها استاذان شهيران هما السيدة ك . أقدر معلّمة بين الاجنديات المتعاطيات تدريس فن الغناء ، ولها في منزلها اجتماعات حافلة بأجمل أصوات القاهرة من نساء ورجال درسوا عليها والتفوا حولها . والسنينور ف . الذي يقطن هذه المدينة منذ أعوام وقد كثر تلاميذه وتلميذاته من مختلف الجاليات ، وتزايد عدد أصدقائه والمعجبين به الذين يرون معجزاته



لما نسيت « معني » الشخص . وهو عند بعضهم قوي<sup>يه</sup> ، شديد التأثير ، يلتصق بنفس الرأي فلا يعود ينسى ذلك « المعني » ولا ينسى حامله

بعد كلمة « انظر ! انظري ! » لا بد من « حكاية » عن موضوع النظر . وهكذا سمعتُ عن تلك السيدة حكايات جمّة جعلتني كثيرة التفكير فيها أسائل « معناها » الباقي في نفسي ماذا عليّ ان اصدق من كل ما قيل ويُقال . ويزيد اهتمامي بها بترام الحكايات عنها ، كأني ذلك الرجل الذي تعرّف الى أحد المشاهير وقال « سمعتم يدمونك فشاقتي التعرف بهولك »

عيناها كانتا أعلق الأشياء بحافظتي . هما عينان متغيرتان تظهران مرة عيني امرأة وجميعاً صابرة وحيناً تفكران معرضتين عن جميع مظاهر الحياة . ويوماً تكنان نظرة لا قرار لها ، وتخترقان الأشياء الى فضاءٍ يحيطُ بها ، كأنهما ترقبان في الهواء اشارات يدي غير منظورة . وطوراً تبدوان كعيني الشخص الاجتماعي الذي يتمتع بافراح

والمدايع ، وسلمان باشادون أن أراها مرة كأنها تقطن  
هذه الجهات أو قريباً منها . فإذا كنتُ مع صاحبةٍ أو  
رفيقة لُفِظت بيننا تلك الكلمة التي يتبادلها النساءُ -  
والرجال أيضاً ، مع احترامي لسادتنا الاجلاء - لدى مرور  
سيدة ذات ميزة ما . تلك الكلمة هي « انظري ! انظر ! »  
ولتلك السيدة غير ميزة فهي معروفةٌ بجمال الصوت وقد  
سمعتها في حفلتين اثنتين . وهي أنيقة الهندام تنزيا  
باحث الأزياء ، بل هي من السابقات الى ترويج الأزياء  
الحديثة في القاهرة . ويقولون انها حسناء

كنتُ أشاهدها عن بعدٍ فيستلفتني اليها ذلك الشيء  
الخاص في كل انسان وليس هو الهندام ، ولا ملامح  
الوجه ، ولا الحركة ، ولا السكوت ولكنه شيء مبهم  
يختلف باختلاف الاشخاص . ويزعم بعض أهل الفراسة  
ان مقره بين العينين ؛ ويدعي غيرهم انه في انسان العين ،  
أو حول الفم ، أو في خطوط الشفاه ، أو في ارتكاز  
الذقن . وأنا لا أعلم سوى انه موجود وانه المكون الأكبر

لا يراعي الناس في حكمهم على الآخرين ما يجيزونه  
 لأنفسهم وإنما يحكمون وفقاً لنصوص صلبة جمعت في  
 الجدول الاخلاقي الذي يتسلحون به أمام بعضهم بعضاً .  
 فإذا ما طرحت العيوب في سوق المزايدة - هي مزايدة  
 لا تقبل المناقصة مطلقاً - عمد المتحذون الذين صار كل  
 منهم في ذلك الموقف باراً صفيماً وقديساً مفضلاً ، عمدوا  
 الى ذلك الجدول الصارم كوجه الجلاد . وكما ان جدول  
 الحساب الذي وضعه فيثاغورس اليوناني هو جدول ضرب  
 كذلك كان الجدول الاخلاقي لمساويء العباد والحكم  
 عليها ، جدول ضرب تعالت أرقامه الشريفة عن كل طرح  
 شائن !

\*\*\*

كثيراً ما كنتُ التقي بالسيدة . غ . ب . في اماكن  
 مختلفة ! في الكنيسة ، والحفلات الموسيقية ( كونسرت ) ،  
 والمخازن الكبرى ؛ وكان يندر أن أسير في شوارع حي  
 الاسماعيلية كشارع قصر النيل ، وعماد الدين ، والمغربي ،

## حكاية السيدة التي لها حكاية

لكلِّ من الناس حكاية أولية يتناقلها الاقارب والأبعد بلهجاتهم المتعددة ويفهمونها بعقلياتهم المختلفة ، وينسجون حولها حكايات كثيرات . يسردُ الواحد « الحكاية » الاولية عن ذبيحته في تلك الساعة ثم يزيد قائلاً وله معي أنا أيضاً « فصل » ، وله مع زميلي « عبارة » ، وله مع الآخر « طابق » الخ . ويجود بهذا الطابق والفصل والعبارة شارحاً متبسّطاً منمنماً مزخرفاً . ويصغي الآخرون متعجبين متأففين ، ويتعوّذون بالله العليّ العظيم ، وينكتون ويتكفون كأنهم لم يأتوا هم ولم يأتِ بشرٌ قبلهم شيئاً شبيهاً لما يسمعون . وبدهيَّ انهم في تطبيق الاحكام على سواهم لا يراعون قانوناً مرناً يستعملونه في الحكم على نفوسهم . والقاعدة الذهبية القائلة بحبّ القريب ومعاملة الآخرين بمثل ما يودُّ المرءُ أن يُعامل ، لا تزال قاعدة ذهبية . . . بحسبُ

بالإيجاب . قلت « حتى بعد مرور أربع عشرة سنة  
تشجيك تلك الذكريات الصببانية ؟ »

فلزمت عائدة الصمت وقد بدا وجهها مهيباً ، ثم قالت  
« ذكريات صببانية ؟ وهل نحن الآن غير أطفال ؟ وهل  
الشباب والكهولة والشيخوخة سوى مظاهر أخرى من  
الحياة الدائمة الطفولة ؟ ما مرَّ بي يوم إلاَّ زدتُ اعتقاداً ان  
ما نراه ، ونشعر به ، ونختبره في الحداثة انما هو هو  
ما نشهده متتابعاً من عام الى عام ، ولكن بصورة اكبر ،  
في ميدان العالم الواسع »

أتضنين بها؟» وتابعت بصوت خافت مملوءً بتعنيفٍ عذب  
« ألم تفكري في كل هذه المدة؟ ألا تحتاجين إليَّ

في هذه الايام مثلاً احتاج اليك؟ »

وبدلاً من ان تبكي عائدة على خشب البيانو البارد  
الصلب، أخذت تبكي على صدرٍ لينٍ دافئٍ علّق عليه  
الصليب الفضيّ رمز التضحية والامثال، واكتساب الحياة  
بالموت الاختياري . .

\*\*\*

رأيتُ عائدة اليوم في احد المخازن امام منودٍ نام  
فيه تمثال الطفل تحيطُ به رءوس عيد الميلاد المختلفة . فقلت  
« أتذكرين أيام المدرسة يا صديقتي؟ » فاجابت « أذكرها  
على الدوام » . وأخذت تفكر في شيء بعيد . فحدّقتُ في  
عينها، وخيل إليّ اني أرى هناك رسم ابنة اثنتي عشرة  
سنة اتكأت على صدرٍ علّق عليه الصليب ، وقد انحنى  
على وجه الفتاة الباكية وجه الراهبة الحزين  
فقلت « أتذكرين الاخت اوجني احياناً؟ » . ف اشارت



وكان مساء العيد حزيناً ، وجوّه مكفهراً ، والدير صامتاً ، كتوماً ، مرمرباً كالمقابر القديمة يضمنُ بخفيايه .  
 وكان لعائدة يومئذٍ ان تفعل ما شاءت دون قانون يقيدها  
 فتقضي أكثر أوقاتها في غرفة الموسيقى المنفردة في أطراف  
 الحديقة تخيم عليها الاشجار ذات الغصون العارية

هناك جلست طويلاً والسماء تمطر رذاذاً ، ثم نهضت  
 الى البيانو وما كادت تمس أصابع العاج حتى سحبت يدها  
 قائلة « ما أشد برد البيانو ! » ثم أضافت « بل البرد في  
 يدي ، البرد في روحي ، البرد في وحدتي وغربتي ! اني  
 جليد ولكني جليدٌ يتعذب ، واشعر بان كل ما في هذا  
 الدير جليد حيٌّ ينبضُ ويتعذب ويبكي ! »

ألقت برأسها الى خشب الآلة الموسيقية . على ان  
 يداً لطيفة اجتذبتها مداعبة شعرها وخذها . فصرخت  
 الفتاة قائلة « اتركيني ! لا أريد ان يشفق عليّ أحد لاني  
 لا أطلب الشفقة ! »

فقالت الاخت أوجني « واذا طلبتُ أنا شفقتك

يغادرن الدير ليصرفن الاسبوع بين اهلهن المقيمين في المدينة  
أو في ضواحيها . وعائدة من بلدة بعيدة كل البعد ، لذلك  
لا يزورها من ذويها في العيد أحد . وستقضي هذه الايام  
وحدها بين اوائك النسوة الصائمات ، المصليات ،  
الزاهدات ، اللاتي كانت تشعر بأن منهن غير السعيدات  
رغم امتاھن الظاهري ؛ فتودّع رفيقاتها الواحدة بعد  
الأخرى متمنية لهن عيداً سعيداً . حتى اذا مضت  
اخراهن انطلقت الى الكنيسة وحجبت وجهها بيديها  
وأجهشت بالبكاء . واذا بصوت مألوف يهمس في أذنها :  
« تعالي يا عائدة . فقد سمحت الام الرئيسة أن اشترك  
واياك مع الاخت حنة في تهيئة المذود »

فانتصبت الفتاة وفرت هاربة الى حيث لا يُعثر  
عليها ، وشهقت متفجعة تقول « اواه ! انها تشفق عليّ ،  
انهن يشفقن عليّ ! ربي ، ترى ايها أمر أخيانة البشر  
أم شفقتهم ؟ »

\* \* \*

وصارت عائدة توجه الى الراهبة كل كلمة حواها  
 كتاب الصلاة في هجو الشيطان واحتقاره . وتلخصت  
 معاملتها لها في اظهار الاستياء والاستنكاف الى درجة  
 المبالغة . وكما أبدت الصديقة الكبيرة ألمياً زادت الصغيرة  
 الشريرة تعديباً

\*\*\*

تكاد حيوية الشر تغلب على حيوية الخير . ولكن  
 القلب الوفي لا يفتأ يلمس من المحبة غذاءً ودواءً .  
 لذلك أفرغ قلب عائدة الكره في أسابيع وأخذت  
 تسرب اليه الكآبة

أخذت تكتئب لا سيما وقد دنا عيد الميلاد وأسرعت  
 ايام العام الاخيرة نحو هوة العدم . يخيل ان هذه المواسم  
 اعلام العمر او محطات على خط الرحلة منه . فتحتاج  
 القلوب الى مضاعفة المحبة والصدقة والعطف والتبهر ، بينا  
 قلوب اخرى تلهو بالرقص واللعب والانشاد وما شاكلها  
 من امور خارجية

وكانت تكتئب لان رفيقاتها الصغيرات أخذن

وحدها - الاخت أوجني هي ! هي ! تستعمله لتعزية الفتاة  
الغريبة ...

آه من خيانة البشر ! آه ما أضيق الحياة ! ما أثقل  
جدران هذا الدير وأرهب ظلالها المنعكس على ساحة اللعب  
مختلطاً بظلّ الاشجار الكبيرة ! وتباً لهذه الاشجار فقد  
مشت الأخت أوجني - الخائنة ! - تحتها ! وتلك الفروض  
التي يجب ان تُكتب ! وتلك الدروس التي يجب ان  
تُستظهر ! ما أطيب الموت ! أين أنت أيها الموت ؟  
مسكينة عائدة ! كانت قوية الشعور فطرةً وقد  
ساعدت تربيتها الاولية على تقوية عواطفها وإرهافها، ولم  
يكن لديها العقل اللاجم ولا الخبرة الحكيمة . وكمن  
امرأة تقضي عمرها على هذه الحال فتشقى وتُشقى وهي  
لا تدري انها مريضة في اعصابها، وان نسبت ذلك الى  
الرقة . نعم ، الحياة تافهة ان لم يبهجها نور الحب ويعظمها  
سناء الفكر ، ولكنّ بين هاتين القوتين الجليلتين وسخافة  
الغيرة بونا شاسعاً

اذهي يا صغيرتي ولا تنسيني !  
يا ابنتي ، يا صغيرتي - بمثل هذا تنادي الراهبات جميع  
التلميذات . ولكنهُ من فم الاخت أوجني نشيد سماوي  
يظلُّ صدهُ متردداً في جنان عائدة

\*\*\*

جددت هذه « الفتاة » اللذيذة يوماً ووقفت عند  
عتبة الراهبة وهي تلهثُ تعباً واضطراباً . رباه ! ماذا ترى في  
هذه الغرفة وماذا تسمع ! بين ذراعي صديقتها فتاة تقريباً  
من عمرها هي عائدة . الفتاة تبكي والراهبة تؤاسيها  
بصوتٍ شفيقٍ قائلة : « لا تبكي يا ابنتي ، لا تبكي  
يا صغيرتي ! »

لم تلمح هذا المشهد حتى انقلبت راجعةً من حيثُ  
أتت . سمعت الفتيات في الخارج يتحسرن على هند  
« لان أمها ماتت » . ففهمت وقالت « مسكينة هند » .  
ولكن شفقتها كانت سطحية لاستيائها من هند المجهولة  
هذه التي أخذت مكانها ؛ والنداء الذي يجب ان تنادي به

كل جماعة في دورها فلا يختلط الفتيات ، ولا يتحاذين ، وان  
تلاقين صدفة فلا يتخاطبن . يعشن غريبان في دير واحد  
لان هيئتهن ... الهيئة الاجتماعية بما بين أعضائها من  
فروق المراتب

وقد تلتقي الصديقتان صدفة في الحديقة او في أحد  
الممرات فتبادلان الاخبار بسرعة بينما العيون تتحدث  
بلغتها المختلفة . غير ان عائدة لم تكن اتقنع بهذه اللحظات  
النادرة . فمتحيين الفرص لتذهب خلال نزهة الظهر ، ولو  
دقائق ، الى الجناح الآخر من الدير وتدخل على الاخت  
أوجني وهي تطرّز وحدها في المدرسة منتظرة وصول  
تلاميذها وتلميذاتها

ما أخطر هذه المجازفة وأعظم هذه الجرأة ! ولكن  
الفتاة كانت تكافأ اذ ترى امارات السرور على وجه الراهبة  
وتسمعا قائلة « انظري اليّ ، يا عائدة ! » ثم تقول « يجب  
ان تتعلمي الخضوع للقانون والألّا تعودى الى مثل هذه  
« الفلمات » . والآن استودعك الله ؛ اذهبي يا ابنتي ،



أيها المارشال العظيم ! وكم يسؤني ان أطيع حفيدتك ، أيها المارشال العظيم ! وكم اكره الواجب لان حفيدتك تدعو اليه ، أيها المارشال العظيم ! ما أجهل الناس بأساليب الاخضاع والتعليم ! اذا كان وجه الطاعة والواجب عابساً ، كما يقولون ، الأفلتأت الدعوة اليهما من أصوات نعرٌ منها الوجوه في حالتى البشاشة والقطوب ... »

لم تكن عائدة في سنّ او في درجة عقلية تستطيع معها الافصاح عن رغبتها بمثل هذا الكلام . وانما ذلك ما كان يخالج ضميرها . والتعبير عن الشعور ان لم يبرز بياناً منسّقاً واضحاً فقد برز زفيراً حاراً . لذلك كانت الصغيرة تصغي الى صوت فؤادها وتتنهد

قلّ ما اجتمعت الصديقتان في غير الكنيسة حيث تحتشد عشرات الراهبات ومئات التلميذات من داخلات « پانسيونر » ، وبنات الميتم ، وبنات المشغل ، وبنات التفصيل . فتدخل كل جماعة في الوقت المعين وتجلس في مكانها تحت رقابة المعلمات . وعند انتهاء الصلاة تنصرف

وغرام . والآل امام البحرها هي شجيرة تذكّر ، فتشدد  
من الاحزان البدوية ما تهتز له أوتار قلبها

\*\*\*

تكوّنت بينها وبين احدى الراهبات ، على مرور  
الايام ، صداقة حارة نقيّة تنشأ أحياناً بين النساء الجامعات  
بين غزارة العواطف وحدّة الذكاء — ولعل تلك الراهبة  
كانت وحيدة بين الراهبات وحده عائدة بين التلميذات  
لم تكن الاخت أوجني من معلمات عائدة ، فهذه من  
بنات « الداخلية » ، والاخت أوجني تتروى تدرّيس أصغر  
الصفوف في « الخارجية » ، وايس بين المدرستين غير  
الصلة الحجرية لانهما في طرفين متباعدين من بناء الدير  
الواحد . فكانت الفتاة تقول لنفسها « لو كانت هي معلمي  
لتفوّقت في صفّي ارضاء لها ، بدلاً من ان أرغم الآن على  
العمل تحت مراقبة راهبة لا أحبها وان قلت لنا الرئيسة انها  
حفيدة مارشال فرنسوي . ما أقل اهتمامي بك وبمحفيدتك

كانت وحيدة الروح . وكثيراً ما تنزح عن ميدان اللعب الى الحجر المنفرد في أطراف الساحة ، فتجلس هناك ناظرة الى البحر البعيد ، الى زرقته الفيحاء واستدارة الافق المخيم عليها ، متمتعةً بجمال الطبيعة ومتهيبهً إزاء روعتها جميعاً . فترى السفن ، وقد تضاءلت بشاسع المسافة ، مارة في تلك الزُرقة القصية بكياسة ورشاقة ، تترك وراءها خطاً أبيض طويلاً لا تعرج فيه . عندئذ تُمنع عائدة في تفحص ذلك الخط المستقيم ، كأنما هي تقابلُ بينهُ وبين خطٍ آخر رسمه في داخلها مرور سفينة من سفن أحلامها شقّت أمواه نفسها العميقة

كانت تحسنُ ركوب الخيل على حداثة سنّها ، وقد قطعت على ظهر الجواد سهولاً وجبالاً نبضت حياة التاريخ تحت الارض منها ، وبين الاشجار ، وعلى الصخور وحول القمم . ما شهدت جلال الطبيعة إلاّ عادت اليها تلك الذكريات مع صدى الاغاني الوجدانية التي ينشدّها أهل المضارب في الظلام فتشير بين ستائر الخيام أنه جزع

## عائدة تتذكر . . .

أيها المارّ أمام معاهد التعليم ، ما أجهلك بما وراء  
الجدران من متزاحم العواطف ومتضارب الانفعالات !  
هناك هيئة اجتماعية صغيرة . والعمر الذي تحسبه أليف  
الصفاء والغفلة والهناء انما هو كالشباب والكهولة والشيخوخة  
أسير حمى الحياة . هناك جميع صنوف الناس : المتيمين  
والمتطيرين ، المفكرين والاحق ، الشجاع والجبان ، الرصين  
والطائش ، الشخصية الممتازة والشخصية العادية ، النفس  
الأيية السماء والنفس الدعية المتبدلة . وما الطفولة الا مقدمة  
قد يكفي ان تطالعها أحياناً لتعلم المما سريراً بما ضمنه الكتاب  
من تفصيل وإسهاب

كانت عائدة ذات طبيعة غنية خصبة . تحبُّ الجري  
واللعب والضحك — اي بذية لا تحب ذلك ؟ — وتبتكر  
للهو أساليب طريفة ترفها في تقدير رفيقاتها . ولكنها

الاستسلام الى الراحة الدائمة

وأي نصيب أمر من هذا ؟

ألا انما قيمة الحياة في رهبة الموت الذي هو جزء منها .  
 واذا أدركنا البصر في أحوال الناس ورأينا تلك الوجوه  
 السقيمة، والأجسام المشوهة، والأعضاء البتراء، ورأينا ذوي  
 العاهات الاخلاقية الذين يُنزلون في المجتمع انصاب  
 والاصاب ويظلون عالة عليه طول حياتهم ، اذا رأينا ذلك  
 أدركنا ضرورة الموت وعرفنا فيه محسناً كريماً

ثم ، اي اسم غير اسمه يخفف من حزن الحزين ، واي  
 خيال غير خياله يلطف من يأس الآيس ؟

عبد الحميد واستاذ التاريخ لنجله البرنس برهان الدين  
 وها اخذت تهم الدوائر العالمية بمباحث الدكتور  
 ثرونوف، وتجاربه الدائرة حول استبدال الغدد المتداخلة  
 بين الانسجة بغددٍ جديدة تُستخرج من الحيوانات .  
 ويقال ان النجاح باهر يحول الشيخ شاباً بلا وجعٍ ولا ألم  
 بل بحقنة بسيطة تحت الجلد

الى هنا وصلنا من طمعنا الأكبر . وحسن ان يستعيد  
 المرء شبابه وان يحفظه طويلاً ، ولكني لا أرغب في ابعاد  
 الموت عن البشر

لقد وصف الكاتب الانجليزي « سويفت » في كتابه  
 « رحلات جلفر » حال قبيلة استرالديرج المحتمم عليها ان  
 تعيش دواماً . فقال ان أعضاءها يصرفون المئة سنة الاول  
 وشأنهم شأننا نحن النوع الآدمي ، حتى اذا تجاوزوها أصيبوا  
 بكآبةٍ يأسية وساورتهم الهموم والغموم . ينادون الموت  
 فلا يلي نداءهم ، ويجدفون على الحياة كلما شهدوا موكب  
 جنازة ، ويمقتون الطبيعة التي حرمتهم لذة الموت وهناء



كذلك أخذوا يبحثون عن «عين الحياة» التي أوجدها زفس<sup>(١)</sup> فوصفها احد علماء الجغرافيا وصفاً . . . جغرافياً ، وارتأى كاتب روائي انها تأتي من النيل ومن أنهار الفردوس الأرضي ، وان قطرة منها تعيد الى العليل صحته ، والى الشيخ شبابه . ومضى يطلبها رحالة اسباني فاكتشف مقاطعة فلوريدا وهي من الولايات الامريكية المتحدة . وانحنى الكاباليون على الصهور الكيماوي يبحثون عن مادة الشباب فتبارى بايكون ، وسن جرمان ، وكاليوسترو في تركيب « اكسير الحياة » ، وتعددت الكتب الدالة على وسائل إطالة العمر وحفظ الشباب . ومتصفح جريدة « السائح » النيويوركية ومجلة « الاخلاق » يرى هناك اعلاناً عن « كتاب الاكتشاف الثمين لإطالة العمر مئات من السنين » بقلم الدكتور لويس صابونجي السوري الذي كان سكرتيراً ثانياً للسلطان

---

(١) في خرافات الاقدمين ان جوبتر إله الآلهة حوّل حورية من بنات الماء الى ينبوع يعيد الشباب والصحة الى كل من استحم بمائه

## الشباب والموت

لم يهمل سادتنا العلماء موضوعاً هو في نظر بعضهم  
الموضوع الأمثل

نحن نسمي هذه الدنيا « وادي الدموع » ثم نشفق  
على الذين يغادرونها ، وأقصى ما نتمنى هو ان نعلم طويلاً  
متمتعين بخصائص القوة والصحة والشباب

نقد استولت تلك الامنية على قلوب الناس فجعلتهم  
آناً كاذبين محتالين ، وآونة خونة مارقين . كم أفسدت من  
عملٍ نبيلٍ ، وكم قادت الى فظيعة الجنايات

كلُّ منا يريد التفلُّت من شباك الردى ليطيل الجلوس  
في مادبة العمر مراقباً مناظر الطبيعة ، متسقطاً أخبار العالم ،  
نائلاً حظه من التمتع والتلذذ - ومن التوجع أيضاً . ولكم  
متن قيد الألم حتى تجاوزه الفلّ ، بينما قيود الحبور مقطعة  
الأوصال ، لا تفتأ تُهصر مادتها لتستحيل الماء ذا طعمٍ جديد

وهناك امرأة تشبهها في بخارست ، غير ان زوجها  
حي سعيد وقد تملكته من جديد اطماع الملوك واطماع  
انصاف الملوك ، وتهلل شعبه بهداه - أو على الأقل زعم  
انه تهلل . الجريمة التي يعاقب عليها القانون بصرامة في طبقات  
المجتمع على اختلافها يُرغم على ارتكابها من يُعدّ بعد الملك  
منبع الشرف في الدولة ، ويحسبون امثاله وذله عقلاً  
وحصافة ؛ فيسارع ملك آخر الى تسليمه يد ابنته وحياتها .  
ومن توفرت له هذه المزايا فلا بد ان يكون في الغد  
ملكاً عظيماً . . .

أرملة اسكندر في أثينا ، وأرملة كارول في بخارست :  
تري أيّ المرأتين اشقى ؟

بزوجته وولده ، وان يتمتع بالحقوق العامة كأحد رعايا  
رومانيا دون أن يطمح الى ميزةٍ اخرى

كان ذلك ؛ فأرسلوه يُسَرِّح عواطفه بين ماء القارة  
ويابستها . وعندما عاد بعد ستة اشهر الى عاصمة رومانيا  
كان خطيب هيلانة اليونانية . واذ وقف يشكر الذين شربوا  
نخبه في الوليمة الرسمية التي اقيمت احتفاءً بعودته، رفع الكاس  
بيدٍ ثابتة وقال بصوتٍ جليٍّ أدهش الحاضرين : « عامتُ  
في رحاتي هذه ان المرء يخصص وطنه قبل كل شيء »

ولما كنت أقرأ وصف المهرجانات المعدة في اثنينا احتفالاً  
بمجيء الملك قسطنطين والعائلة المالكة كنت أفكر على رغمٍ  
مني في امرأةٍ تمزق قلبها أصوات الفرح . هي وحدها تلبس  
السواد في وسط الزينة والابهة ، وتبكي تحت نقاب الارامل  
بيننا الملكة تركز على جبهتها تاجاً كادت تفقده ، وترصع  
صدرها بجواهر العرش . تلك المرأة وحدها تذكر في وسط  
الذسيان الشامل ، وشيء كثير ان يكون للمرء قلب واحد  
لا ينسى

## زواج الملوك

« ائينا في ١٠ مارس سنة ١٩٢١ - احتفل  
في الكاتدرائية بزواج ولي عهد رومانيا،  
بالرئيس هيلانه اليونانية - روتر »

زار وليّ عهد رومانيا مصرًا في الشتاء السابق قاصدًا الى  
اليابان، على ما أظن؛ وقد دُعيت رحلته يومئذٍ «حمية النسيان»  
فصارت اليوم «رحلة الشفاء». أرسلوه يجوب الأقطار  
ليسلو زوجته وولده وليُقدم على اهلها وانكارهما. لأنه هو  
الآخر فعل فعل الملك اسكندر واقترن بابنة ضابط بسيط.  
غير ان اسكندر اليوناني تزوج بعد ارتقائه العرش يوم لم  
تكن في الدولة فوق ارادته إرادة. أما كارول الروماني فحاول  
التملص من وثقٍ يجعله انسانًا مركبًا، مقيدًا، رهين اهواء  
المناورات الدولية. فتنازل عن العرش الموعود، ورفض تاجًا  
يهيئه له المستقبل، ورضي بأن يبقى رجلًا بسيطًا حرًا سعيدًا

وطنه ، وأي درس ستلقى ايرلندا من موته سوي درس المشاركة  
والثبات ؟

أليس من الخسارة الفادحة ان يلاقي رجل كهذا حتفه  
مختاراً ، ايعطي وطنه امثولة كان في وسعه ان يعطيه عشرات  
لا تنقصها اهمية وان اختلفت عنها نوعاً— في حياته ، حتى اذا  
حانت ساعة الموت رحل عن الدنيا بميتة هي انبل من  
الميتة الغبراء واسمى ؟



ملك اليونان يقضي بعضة حيوان غاضب ، يقضي  
 ، رغماً تمرّضه امرأة عزيزة . والآ خر يقضي ببطء مختاراً لا  
 يداويه عزيز ، ولا هو يسير بنشوة الحماسة وجنونها نحو الموت  
 بل ينتظره انتظاراً رياضياً ، منظماً ، متتابعاً ، متمسكاً عنيداً .  
 يموت لينفذ كلمة قالها عند دخول السجن : « سأخرج  
 من هنا بعد شهر حياً أو ميتاً » . ولم يثن عزمه ذكر  
 زوجة و ابناء ينتظرون نعيه في البيت الخالي منه وحيث لن  
 يعود قط

أي رجل كان ذلك الرجل ؟ حمل ثقيل أزيح عن عاتقي  
 عندما علمت بانتهاء الآله

لقد طالعت كثيراً مما كتُب عنه في الصحف الانجليزية  
 وغير الانجليزية ، وقرأت يوميات دونها في سجنه - وقد تكون  
 مختلفة او محرّفة . وحضرت قداساً اقيم في كنيسة القديس  
 يوسف لراحة نفسه . وظهرت هنا بعض الصحف الوطنية  
 مصدره برسه ، وقد جرت في اعمدها انهار النظم تنويرها  
 بشجاعته وبطولته . اما انا فلم افهم بعد اية خدمة ادى الى

## ماك سويني

على ذكر الملك اسكندر اقول اني ككثيرين غيري ،  
كنت ارقبُ الأخبار عنه صباح مساء كل مدة مرضه . لم  
اكن لاهتم بشخصه من حيث هو ملك اليونان «الموافق»  
الآن لسياسة الدول . لقد اتعستني الطبيعة - او اسعدتني -  
بان جعلت لفاقة السياسة في دماغي جافة عقيمة لا تتأثر ولا  
تتحرك . الا انه كان مذكوراً بالخير لسحته تقاليد راسخة  
وتحطيمه سلاسل وثيقة بزواجه من فتاة من ذوات الدم  
الأحمر الحيوي الفوار ، بدلاً من الدم الأزرق « الشريف »  
الذي ليس بشريف ولا هز بأزرق في غير دعوى مدعيه  
كذلك كنت أهتم لأخبار ماك سويني اذ كاد يدخل  
العليان دور النزع معاً ، وقد توفي أحدهما بعد الآخر  
بساعات معددوات . وكلُّ منهما بطراً في بابه ، ضحية في  
بابه : فهما مختلفان متشابهان

سعيداً بما أدّى إليها، أي بوفاة ولده؟

والذي ساقته الهواجس الى هذه النقطة لا يحجم عن ان يخطو خطوةً أثيمةً أخرى، فيقول: اذا سعد الملك بتلك الوفاة بعد وقوعها، ذأي مانعٍ منه عن ان يسعد قبلئذٍ بتخيّل احتمال وقوعها؟ ترى ألم يترّ في مخيلته خيال الموت وولده على فراش المرض؟ ومن يدري؟ ألم يتحرك في قرارة نفسه شيء يشبه اخوف او... التمني؟

لا، لا أريد استطراد التحليل! وسواء أكان هذا الوهم ممكناً او مستحيلاً في قلب والدٍ او والدة فان النفس البشرية تبقى دواماً هي في ارتباك انفعالاتها واشتباك نزعاتها. وان كانت العواطف الأبوية قوية في الغالب فلكم ضحّي من ولدٍ لغاية شخصية، أو لاجل قريب، بل لاجل غريب اذا احسن ذلك الغريب لمس الموضع الحساس من حب الذات، او علل طمعاً من اطماع النفس او منّاها باحدى رغائبها...  
لحمة مرعبة في قلب الانسان. فلنحوّل النظر الى ما هو أقلّ ادلهاماً!

ومن الغرائب ان الاشياء تقوى بالتضاعف الا ذكاء  
الجمهور . فلو اخير خمسة أشخاص أو عشرون شخصاً من  
أرقى الناس وجُمعوا للمناقشة والبتِّ في أحد الموضوعات ،  
وافرد لمثل ذلك شخص واحد متوقد الجنان ماضي العزيمة  
فلربما جاء الفرد بما قصرت دونه الجماعة . لأن مستوى الذكاء  
يهبط في الجمهور ويختلط بينا هو في الفرد يسمو ويتناهى .  
وهو حدث سيكولوجي معروف لدى علماء النفس . ولعلَّ  
المقابلة بين قاموس الاكاديمية الفرنسية الذي يشتغل فيه  
عشرات « الخالدين » منذ عشرات الاعوام ، وبين قاموس  
لاروس الكبير الذي أنهاه فردٌ واحد دون مساعدة أحد -  
لعلَّ هذه المقابلة مصداق يقبله كثيرون

على ان كلمة الملك تستوقف الذهن وتنبه الهواجس  
عند ذويها . يقول انه « سعيد بالعودة » . ولكنَّ مسبب  
هذه العودة راجع الى موت ولده ، اذ لو بقي الملك اسكندر  
على قيد الحياة ما تقيض لأبيه أن يغادر سويسرا في هذه  
الآونة . واذا كان « سعيداً » بالنتيجة فكيف لا يكون

## (( سعاسة )) ملك اليونان

نقلت برقيات اليوم خبر عودة الملك قسطنطين والاميرة  
 المالكة الى بلاد اليونان ، فقالت انه قوبل بحماسة شديدة  
 وروت عنه هذه الكلمة « اني سعيد بالعودة الى وطني »  
 طبعي ان يسر المرء بالعودة الى بلاد اقصي عنها وهو  
 يحبها ؛ طبعي ان يرتاح لاستنشاق هوائها لا سيما وله فيها  
 عرش كسائر العروش انتصبت قواعده على قوة الاستمرار  
 والتسليم بلا مناقشة . ليس تلاميذ المدرسة اليونانية الذين  
 اسمعهم يهتفون لقسطنطين عند الانصراف هم وحدهم  
 اطفالاً يؤيدون من يجهلون وينادون بما لا يفقهون . الجمهور  
 طفل بوجه عام . موجة ترفعه وموجة تدفعه . انفعال يثير  
 به الى قمم الجبال وانفعال يهوي به الى أعماق الهاوية . يولده  
 الساعة من سيندل بعد ستين دقيقة وسيمجد غداً ما قدمه  
 أعواماً ودهوراً . وهو في كل ذلك هائج هائج ، مسير غير  
 مخير يتدافع بلا ترو او تعقل

الشارع . وهناك عند العمود الضخم المنتصب امام المحكمة  
رفع احد المتهمين نظره الى افریز العمود الاعلى ثم اداره  
سريعاً الى الارض وارسل زفرةً محرقة . فنظرتُ الى الافریز  
الاعلى واذا بطائرین قد وقفا جنباً الى جنبٍ ينشدان انشودة  
الحياة والحب والحرية



وارتدَّت حدودها الى ما وراء جميع المحاكم في الماضي  
 والحاضر والمستقبل . وصار القضاء الخمسة أوفياً وملايين ،  
 ونظراتهم النافذة المستفسرة الباردة كالسلاح الابيض  
 تتَّجه نحو العيون المذعورة . وسمعتُ الاحكام على  
 العبيد وعلى الملوك ، على المظلومين وعلى الظالمين ،  
 وبراءات لي السجنون بغمومها والاشغال الشاقة بذلها ،  
 وآلات التعذيب بهولها ؛ وبدت أمالي وجوه الجرائم  
 والفضائح والشرور فنقضت أوصال إحساسي . وفي هذه  
 الغرفة التي كانت تبسم منذ هنيهة سمعتُ صلصلة  
 السلاسل وقعقة القيود ، ولحتُ احكام الاعدام على  
 لابسى البذلات القرمزية السائرين نحو المشانق عراة  
 الاقدام . . .

ما هذه الضوضاء التي تخرج بي من هذا الكابوس  
 الفكري؟ آكل هذه جلبة الحبال في الاعناق؟ كلاً ، بل  
 حانت ساعة الانصراف ، ورفعت الجلسة ، وانقرط عقد  
 المجتمعين وهما هم يخرجون الى الدهليز الواسع المؤدي الى

ترقص أنوار الحياة ، وعلى شفاههم يديس رونق النضارة ،  
وفي ذقون بعضهم تلك الطبقة الجاذبة التي يحسبها  
أهل الفراسة علامة الحب الشديد ورمزاً الى ان  
في صاحبها احتياجاً للشعور بان له من يعزّه ويحنو  
عليه . وان حرمة شقي شقاء لا يدركه غير أمثاله .  
فكيف يحتمل هؤلاء حياة السجن وراء الابواب المقفلة  
وفي عناء الاشغال الشاقة ؟ وكيف يحتملون القيود  
والاغلال وكل ما هيأه المجتمع من نظام ولباس يحول  
يأس الجاني الى سخرية ظاهرة ؟ وأي التوسلات  
ستنطلق من هذه الافئدة ، وأي الدموع ستاهب هذه  
المحاجر ؟

تلاشى فجأة ما يحيط بي ، واتسع القفص ، وأضيفت  
اليه جميع الاتفاص في جميع محاكم العالم وقد حشر فيها  
الالوف والملايين . ورأيت في عيون الجناة صور جنائياتهم ،  
وفي عيون الابرياء صور براءتهم ، وفي جميع العيون  
أشباح الخوف والفرع . ثم انهدمت جدران القاعة .

ومجلات يقابون صفحاتها ، ثم يتحادثون كأنهم يتبادلون الآراء في الموضوع الذي يقرأونه ولا علاقة له بالمحاكمة أصلاً . ثم يرسم الحزن في سواد عيونهم وتبرز على جباههم أحكام نقشها لهم القدر في كتابه النحاسي ، فيتأملون قليلاً ويتهدون . الا ان اجتماعهم اجمالاً يشبه أي اجتماع مدرسيّ جدي . اقول « مدرسي » لانهم من طلبة المدارس العليا . فهذا كان يدرس الطب ، وذاك القانون ، والآخرون طلبة الازهر ، وغيره من مدرسة القضاء الشرعي ، وهيئة التامذة عليهم جميعاً الا عبد الرحمن بك فهمي الواقف في مدخل الممرّ الى القفص كالجبار ، وعليه ملامح الحكماء والوزراء <sup>(١)</sup>

حسن بزتهم يشير الى درجتهم الاجتماعية ، وفي عيونهم

(١) عبد الرحمن بك فهمي سكرتير لجنة الوفد المركزية منهم بانه كان يمدّ « جمعية الانتقام » بالمال والسلاح ، وهو من وجهاء البلاد وكان مديراً لمديرية بني سويف ( المدير في مصر يوازي الوالي في سوريا قبل الانقلاب الاخير بل قد يفوقه اهمية ) ثم عين وكلاً لوزارة الاوقاف

معاً . ولو انتشر مكروب خبيث لتناولها معاً ولتألم كل على حدة بمثل ما يتألم الآخر . بل هاهم جميعاً قد كَلَّتْ أدمغتهم وأغمضوا عيونهم وفي كل منهم احتياج يظهر حتى وفي تصلب جلوسه - احتياج الى ان يتشاءب ويتمطى كما يفعل الأسد ، او كما تفعل هرتي البيضاء عندما تأتي ملاعبة من لا يعجبها . وعند ما تخرج كلمة هزلية من فم المحامي او القاضي او الشاهد تلمع عيونهم جميعاً ويشتركون في الضحك . وائن بعث القضاة الى المتهمين بنظرة نافذة مستفسرة باردة كالسلاح الابيض ، حيناً بعد حين ، فلواحظ هؤلاء تخال باسمة في الغالب

نعم - في جميع عيون المتهمين ابتسام ، وهيئة القاعة عموماً بسيطة ليس فيها ما كنت أتوقعه من مظاهر الغم والعبوسة . كأنها مكتب لأي عمل من الاعمال التجارية مثلاً . وبيننا المدعي العمومي يتابع شكايته مستطرداً في الاتهام فيأتي بالحجة بعد الحجة ، وبالاثبات تلو الاثبات - اذا بالمتهمين لاهون عن أقواله بما بين أيديهم من جرائد

رجال القانون الانجليزي، وهو وحدهُ بين القضاة يلبس  
الشعر العارية الابيض والرداء الاسود. والى اليمين كرسي  
المدعي العمومي، او مدعي الملك، كما يسمونه في هذه القضية،  
وهو كنائب الاحكام يلبس الشعر الابيض والرداء الاسود.  
وأمام المحكمة مكان المحامين، فوقف الشهود، تتناسق  
متتابعة وراءه مقاعد القاعة التي اجلس أنا في صفها الرابع،  
والى يميني قفص المتهمين الذي تنتهي حدوده من الجهة  
الاخري قرب هيئة المحكمة

أيّ المواقف أغرب من موقف المتهم ازاء القاضي ؟  
وأي كرهٍ قسري بين هذين الاثنين — بين شخصٍ  
ضعيف اعزل تحت رحمة الآخر، وبين هذا الآخر الذي  
وُجد ليفسر الحركات والمعاني ويتصرف كيفما شاء في  
مصلحة المتهم وراحته وحياته. أيّ عدااء وأي اختلاف  
أعظم من هذا؟ مع ذلك فالاثنتان خاضعان معاً لجميع  
نوايس الطبيعة واهوائها. فلو تساقط الثاج الآن لانتفضا  
معاً، ولو زلزلت الارض زلزالها وفقرت فاهما لالتهمتهما

كبيرة واسعة رفعت الاستار السكتانية الى أوجها فتدفق خلالها نورُ النهار الداخل من الحديقة الفاصلة بين هذه القاعة وبين الشارع حيث يسير الناس احراراً غير مقيدين . ولما فرغتُ من تفحص الحائط والنوافذ والستائر ، واستنزفتُ عليها كلَّ ما جال في دماغي من ملاحظة ومناقشة وتعليق - مشى بصري قليلاً قليلاً الى صدر الغرفة حيث استوت هيئة القضاء لتحكم بقسطاس العدل

أين ذهب اضطرابي حتى واجهتُ نظر القضاة بهدوء هذه المرة ، وبى شعور يشبه الراحة والطمأنينة ؟ فعدلتُ جلوسي واستعدادي العقلي لأضع الاشياء في مواضعها هيئة المحكمة تتألف من قضاة عسكريين أربعة يلحق بهم المترجم ، ويرؤسهم قائد تبدو مرتبته في الاشرطة الحمراء المذهبة على كتفيه وكميه ، وفي صفى الاشرطة الملونة الصغيرة الممتددين على صدره واحداً فوق الآخر ليدلاً على ما عنده من مختلف المداليات والاوزمة . ويتوسط الهيئة « نائب الاحكام » وهو قاض في المحاكم المختلطة واحد كبار



فإذا بهم يرقبونني وقد أدركوا في سرهم مقدار جزعي واضطرابي . وهل من نظرٍ ينفذُ الى أعماق النفس ويعرّيها من استارها كمنظر القاضي؟ ربما كان هناك شخص واحد يفوقه براعة ، وهو الكاهن الكاثوليكي الذي يكسبه تعاطي الاعتراف واستماع شكايات الناس ، حنكة ودراية ومعرفة بأسرار النفوس لا يمانه فيها من العامانيين غير من شفت بصيرته بانوار الالهام

لم أجرأ على النظر الى المتهمين . وشعرتُ بان أسلم النظرات عاقبة وأضمنها براءة هي نظرة أصددُ بها الى سقف المسكن مستوضحة هندسته وزخرفه

زخرف محكمة الجنايات؟ ما هذا المجون؟

نعم؛ هناك زخرفٌ وتنميقٌ ، وهو عبارة عن خطٍّ عريض نقش بالنقوش الحجرية البيضاء ودار حول سقف القاعة في أعالي جدرانها الكلاسيكية الجرداء . وقطعتُ خطوطٌ أخرى من نوعه السقف ثلاثاً وأنالته شكلاً مرضياً . ثم هبطت عيناى الى الحوائط، وفي أحدها القائم شمالاً شبابيك

دخاتُ الدهليز الواسع بين الجنود المنتصبين يمنةً  
ويسرةً، وخلالهم يخنط المحامون باصحاب القضايا ويناقشونهم  
باصوات خافتة على رغم منهم. فتلقاني جنديٌ حاجبٌ قدّمت  
لهُ تذكرة الدخول فأوصلني الى آخر. وسار بي هذا الى ثالث  
وأنا أعدُّ الازرار الذهبية المنضدة على كتف كل منهم، وأتظاهر  
بعدم الاكتراث لأسكت دقات قلبي. وما كان حتى رأيت  
ضابطاً ينحني امامي وهو يفتح باباً لم اسمع له ما يشبه الصوت.  
فوجدتني بغتةً في قاعة متوسطة الاتساع قد تبلغ مساحتها  
العشرين متراً طولاً على عشرة أمتار عرضاً. وبدلاً من  
ان اخطف وراء الجندي الذي سار ليدلني على مكاني، ظلمتُ  
واقفةً وانا في اجفالي اتفرّسُ في الوجوه المستوية في صدر  
القاعة وقد اشراَّبَتْ نحوي جميعاً. غير أن الذي تكفل بايصالي  
عاد اليّ ثم مشى يهديني حتى أجلسني على المقعد الرابع، وعلى  
مقربة مني « قفص » المتهمين

أجميع الحضور يحدّثون فيّ أم انا في هلوعي أظنهم  
فاعلين؟ رفعتُ بصري أتبيّن الامر في سماء القضاء اولاً

## في محكمة الجنايات

زرتُ اليوم مكاناً لعلّه أروع الامكنة بعد مسارح  
الجرائم الخفية ومواضع تنفيذ الاعدام. أعني القاعة الكبرى  
في محكمة الجنايات حيث يُصدرُ العدلُ البشريُّ أشد  
أحكامه على مَنْ يكونُ في عرفه مجرمًا. ذهبتُ الى تلك  
القاعة حيث تنعقدُ المحكمةُ العسكرية لمحاكمة المتهمين بانهم  
من أعضاء «جمعية الانتقام» المتآمرة على خلع السلطان،  
وقتل الوزراء، وقلب الحكومة، والتجريض على الثورة في  
البلاد. ما أَرهَب هذه الكلمات التي تصوّر للمخيلة وشاهد  
الظلم والفتك والدماء والدمار! ومن مميزات الحركة النسائية  
الجديدة ان المصريات، تزجُن بالحياة العامة فصرن يظهرن  
في كل اجتماع قومي، حتى وفي أخرج المواقف وأوجعها  
للقلوب الوطنية. كذلك حضرَ بعضهن جلسات المحكمة  
بالتتابع

وعند الباب هيكل عظام بشري الا انه صُنع من  
خشب الجوز او من خشب آخر دُهن بهذا اللون . كل  
ما هنا يساعد ما في جواره لجمال هذه الغرفة كبيرة في  
صغرها ، عظيمة في سذاجتها

صدق القائل ان للغرف ارواحاً ...

أحبُّ روح هذه الغرفة الممزوجة من أرواحٍ شتى  
وهل من مخبر بما رآته هذه الجدران قبل ان تكون  
للجامعة من أتراحٍ وأحزان ، وبما شهدته من تقلبات  
الحدثان ؟

لعلها سمعت تنهداتٍ لم يلبس لها قلبٌ ، او رأت قلباً  
وحيداً لم يشاركه في ابتهاجه مشارك ؟

لعلها رأت دموعاً سخينة لم تمسحها اليد الرحيمة ؟

فولتير ! هوغو !

لو تكلمت الجدران لكانت أتمَّ منكما بلاغةً وأعمق

تأثيراً !

صورة هوغو عندهما اكبر من صورة راسير . كذلك تسير  
مواكب الحياة ! فكثيراً ما يقطن الاكبر تحت الكبير  
ويقف الاحسن دون الحسن ، واكمل ان يرضى بما قسم له  
لان الزمان شاء ومشيتته لا تتغير !

من زاوية فولتير الى الباب تمتد مكتبة صغيرة خالية  
مما وجدت له ، تتجلى فوقها صورة امرأة عظيمة : مدام ده  
سفينيه ! كم تسرني رؤية هذه المرأة قرب هؤلاء الرجال !  
كأن وجودها هنا عنوان اهتمام الجامعة بالفتيان والفتيات  
على السواء ، وكأن صورتها على هذا الجدار صوت يستحث  
الفكر النسائي قائلاً : الى الامام !

على الجدار المقابل لجدار فولتير صورة فنيلون  
« اسقف كبري » مؤلف كتاب « تليماك » المقدم بالانتقاد  
الديقيق الخفي لحكومة لويس الرابع عشر وللملك العظيم  
نفسه . والى جانبه معاصره الشهير كورنيل واضع الروايات  
البديعات اللأبي ما برحن ميداناً فيه الحب والواجب  
يتنازعان

التجرد من جسدي حيناً لئلا أسمع محاوراتهما ولو مرة واحدة ،  
 ولأعلم كيف يتناقش العلم والدين في عالم الارواح  
 على يمين هوغو مولير الشاعر الفذ الذي ملأ رواياته ،  
 وراء لهجة الاستخفاف والظرف والتنكيت ، انتقادات  
 اجتماعية وعلمية ودينية ، وعلم أهل زمانه الضحك من  
 انفسهم غير متذمرين

وعلى يمين مولير وجهٌ نحيف جذاب . من هذا ؟ لو  
 نسي مصورك كتابة اسمك تحت رسمك ، لو دُرِسَتْ آثار  
 فكرك وعلمك وانتقادك وطمس الزمان كل ما أيده  
 قلمك ، لو أكلت النارُ وجهك غير مبقية الا على  
 شفتيك لعرفتك يا فولتير ! يا نعمك من فم هائل في  
 كلامه ، هائل في بسمة ، هائل في سكوته حتى في سكوت  
 الصور !

تحت هوغو اطار ذو رسمين يمثل أحدهما راسين  
 والآخر بوالو . ولو انصفت الجامعة لوضعت راسين فوق  
 هوغو واقصت النظام بوالو عن الشعارين . لكنني أفهم ان



هو في جلوسه يناجي الاجيال قائلاً : ها انا ذا ! انا هوغو  
الذي انانته الحياة مجداً وثروة وحباً . انا ذاك الذي شاخ في  
المنفى فكان سعيداً في الشقاء . انا ذاك الذي بحث عن  
نوابغ الماضي ودون اسماءهم تاركاً بعدها مكاناً واسعاً  
لاسم جديد . والاسم الذي أعني انما هو اسم الرجل  
الجالس هنا حاملاً على يده جبهته المثقلة بالافكار العظيمة :  
فيكتور هوغو !

والى شمال هوغو أرى الفيلسوف الرياضي ديكارت  
الذي قال فولتر في وصفه انه جعل العميان يبصرون ، اذ بين  
للقرن الخامس عشر اغلاط القرون الخاليات وجعل شعار  
هذه الجملة : « لتبلغ الحقيقة يجب ان تنسى مرة في حياتك  
جميع الآراء والاعتقادات التي شذبت عليها ، ثم تقيم اسساً  
جديدة لآراء واعتقادات شخصية »

الى شمال ديكارت أرى بوسويه اسقف « موو » .  
ترى بأي شيء يسمّر ديكارت الى بوسويه في ساعات الوحدة ،  
وبماذا يجب الاسقف الكاثوليكي ؟ ليت لي من سبيل الى

الكرة الارضية أهو اختراع هذا العصر حُسبُ؟ ألم تكن من نوعه الآلة التي يقال انها كانت مستعملة عند كهنة ايزيس واوزريس لمخاطبة كهنة الهياكل الاخرى من أقصى البلاد الى اقصاها خلال الاحتفالات السنوية الكبرى والاجتماعات الدينية؟ ولماذا لا يقوى العلم الحديث على استخراج الارجوان من الاصداف كما كان يفعل الفيثيقيون؟ لماذا لا يُخرج لنا الواناً ثابتة لا تنفض نضارتها كالوان هياكل الاقصر؟

أكان أجدادنا جاهلين ام نحن لهم ظالمون؟ ام كل الفرق في ان العلم كان عندهم محصوراً ضمن الاقلية المنتخبة وقد أصبح في زماننا « حصّة من جدّ اعتراماً »؟

\*\*\*

ولكن لتتابعن سيرنا في الغرفة :

في منتصف الجدار الى اليمين صورة هوغو في شيخوخته ويده تحمل جبهته المثقلة بالافكار العظيمة . كأنما

## فينيقيا ومصر !

المدنيتان القديمتان اللتان بزغت منهما مدنياتنا الحديثة  
 وانحدرت من ذرايهما تواريخ ذرارينا ! ترى هل وقفنا  
 على جميع ما فيهما من الاسرار وعرفنا كل ما كان عندهما  
 من علم وفن ومقدرة وساطان ؟ أم نحن في ذلك مدعون  
 دعوانا في سائر اقسام المعرفة ؟

قبل ان يكتشف كولبس القارة الامريكية بقرون  
 طويلات كانت سفنُ الفينيقيين تضربُ في البحر طولاً  
 وعرضاً وقد عيّن التاريخ خطوط رحلاتها، ولكن أيُّ  
 شيء اجهل من العلم ان لم يكن التاريخ ؟ ومن يديرنا ما اذا  
 كانت اليد التي شادت الاهرام واقامت الهياكل المتراكمة  
 اليوم بقاياها على رمال النيل هي غير اليد التي اوجدت  
 هياكل ترى الآن انقاضها في اواسط امريكا، ونحنت ما  
 عثر عليه لورد دوفرن من مسلات مصرية ونقوش شرقية  
 في كولمبيا البريطانية ؟

والتليفون الذي أراه في زاوية الغرفة على مقربة من

وبإتسامته الخالدة التي يرى فيها اتباعه جُزَّ الحرية المنبثق  
من ليل العبودية الأليل

ان للأمكنة أوراهاً، وفي هذه الغرفة الصغيرة روح  
تتاجيني وسرُّ أطمع في اجتلاء غوامضه . كلَّ ما يحيطُ بنا  
في الحياة سرٌّ وانزُّ لكنَّ حواسنا المثقلة بأحمال المادة تحجبُ  
عنا الأنوار ، فلا نرى للأشياء وجوداً ولا ندركُ لها حقيقة  
الا بقدر ما تتفقُ معانيها مع أطماعنا وشواغلنا

كلما رأيتني وحدي في هذه الغرفة شعرتُ بأن في  
جوّها روحاً . أمي مجموع أرواح النوابغ الحاضرين هنا  
برسومهم وبخيالات الافكار المطلمة من احداقهم ؟

نهضتُ أمشي في الغرفة ، امشي وافكر . وراء الطاولة  
التي أكتبُ عليها صورةُ سفينةٍ ركبت من البحر بجواداً  
حرونًا وسارت تقطعُ الامواج الكبار بقوةٍ وثبات . وتحت  
السفينة إطار حوى ورقة ممزقة وفيها بعض السطور الهيرغليفية  
الكتابة الهيرغليفية قرب الباخرة ! ان جوار هذين  
الرسمين لرزمي : السفينة فينيقيا واخط الهيرغليفي مصر

وكم من تأمل التقط موضوعه نظري بين وريقات  
شجرة خضراء تمايلُ امام النافذة ! وكم من حلم لمحت  
خضوطه مرسومة في جوّ قاعة الدرس والوانه متخللة خيوط  
الاشعة المظلة علينا ! أفكار وتأملات واحلام رفرفتُ عليّ  
حينما وغنّت في نفسي كالاطيار ، ثم فتحت جناحها الذهبي  
ساعة جاء الدرس ينبهني - فتحت جناحها وانطلقت تعدو  
الى آفاق قصية اجهاها واحبها لأن لي فيها اطيّاراً خيالية

انا الآن في غرفة صغيرة تابعة لمكتبة الجامعة ، وليس  
في هذه الغرفة من الكتب الا ثلاثة أجهل اسمها وانعتها لانها  
خفيت تحت كتاب رابع من تأليف مارمونتل . وهذا  
أديب فرنسوي لم يتفوق في موضوع من الموضوعات  
الكثيرة التي عاجلها ، بل اكتفى بالإجادة فيها جميعاً اجادة  
معتدلة ، تاركاً البراعة والتفوق لاستاذيهما الكبيرين : فولتر  
وروسو . روسو الذي حاول تكوين مجتمع جديد بقلمه  
القادر البليغ وملاً العالم ندباً ورثاء . وفولتر الذي كافح القيود  
الدهرية برأس قلمه الرشيق النافذ كالسهم الى اعماق الافكار ،

كثيرين حلم عميق للمرء ان يذكره ويحدث عنه ، ولكن  
لمسه ليس بالامر اليسور

اما الجامعة المصرية ففتوحة للجميع ولا تقال من  
فضلها حداثة سنها . إنَّ كلَّ صغير محبوب لانه يطلبُ  
العطف . كل صغير مستودع آمال كبيرات لان له قابلية  
النمو والتكاثر

قال الفرد ده موسيه ( وهو الشاعر الذي أعطي قوة  
التعبير عن أعمق العواطف بالطف الالفاظ ) « كأسى  
صغيرة لسكني أشرب من كأسى » . وعلى هذا القياس  
للمصريين ان يقولوا : « جامعتنا صغيرة لكننا نتعلم في  
جامعتنا »

\*\*\*

ليست الجامعة منهل علم لطلبتها فحسبُ ، بل هي  
مهبط وحي لي حين ابلغها قبل ابتداء الدرس الذي ابتغي  
حضوره بدقائق اقصيها منتظرة متأملة  
فكم من فكر انساني ما يحيط بي من آثار الحياة !



وحدي ناخرة الى ما نُشر على الجدران من رسوم أعظم  
الكتاب والمفكرين )

\*\*\*

يقال ان في العالم نحو ثلثمائة جامعة . ولئن كانت الجامعة  
المصرية أحدث هذه الجامعات سنًا واقلنَّ فائدة مادية  
( لانه ايس لالقبها حروف شتى يجررها الطلبة وراء  
اسمائهم ) ، فهي مع ذلك آخذة مكانها بينهم . ولها ميزة  
خاصة بكونها جامعة أهلية

على أنها ليست الجامعة الاولى في الشرق الاذن

ان الازهر الشريف أقدم جامعات الشرق والغرب  
لانه تأسس في القرن العاشر في حين ان اقدم جامعات  
اوربا — وهما جامعتا بولونيا وباريس — لم توجد قبل القرن  
الثاني عشر

بجمال الازهر وقار القَدَم . غير ان بابه مقفلٌ في وجه  
غير المسامين وتعاليمه دينية لغوية في الغالب . فهو في نظر

لتدل على ذلك بل كانت مقتصرة على اخبار «الكونسرتات»  
والسينماوغرافات والازياء واشكال البرانيط الحديثة .  
ويتخلل هذه الثروة النسائية المحضنة ضحك « يدب ديبه »  
في كل موضوع تجاذبت أطرافه فتاتان ، فكيف به اذا  
صار ضجة فتيات كثيرات ؟

من عجائب الحديث النسائي ان السيدات اما يصغين  
جهيماً ولا تتكلم منهن واحدة ، وهذا نادر . واما يتكلمن  
جميعاً في آن واحد ولا تصغي منهن واحدة . وكانت الحال  
الثانية حالنا في اجتماعتنا نطل عليها حتى يعرض لنا ذكر  
موضوع الدرس ، فيهدأ ضجيجنا بغتة ونصغي جميعاً الى  
المتكلمة فينا ولا نحجم عن بث الآراء والمناقشة أحياناً .  
ونبقى « عاقلات » حتى يمر في الحديث خيال نكتة صغيرة  
فنعود الى الثرثرة والضحك المتقطع المتواصل

اجتماعات لطيفة كاجتماعات الفتيات في كل زمان  
ومكان ولكننا لم نكن لنهتم « بسر » الغرفة التي تجمعنا  
جدرانها ، ولم انتبه لذلك « السر » الا يوم وجدتني هناك

## وصف غرفة في مكتبة

( أستخرجُ هذه الصفحة من فصولٍ لم تنشر بعد كتبها تحت عنوان « مذكرات الجامعة المصرية » لسنة ١٩١٦ . والغرفة التي وصفها تابعة لمكتبة الجامعة وهي اليوم مركز سكرتارية المكتبة . أما يوم كتبتُ فيها فكانت خالية يجتمعُ فيها الطالبات اذا جئن قبل ابتداء الدرس الذي يقصدن حضوره . ومنهنَّ الفرنسية والانجليزية والروسية واليونانية والاطالية والبلجيكية والسورية . ولم تخلُ تلك الاجتماعات الا من الفتاة المصرية وهي الحقيقة بحضور الدروس اكثر من غيرها لأن الجامعة جاءتها اكثر منها جامعة الاجانب

كنا نجتمع هناك كؤتمر دولي التأم لعقد الهدنة وتقرير شروط الصلح ، او كؤتمر نسائي غرضه المطالبة بحقوقه والمجاهرة بمطالبه . ولكن الاحاديث الدائرة بيننا لم تكن

وتظلُّ الأشعة تنشفها . هناك صخور وشقوق أودان استريح  
 في فيئها سعيدة بالاختلاء والكآبة ، سعيدة بعرز يدي في  
 الرمل الناعم ، معرضة عن كل شيء ، ناسية كل شيء ، مكتفية  
 بمناجاة الاصداف والحصى والذرات حولي وبالقاء هذا  
 السؤال على الكون الصامت « لماذا أوجدتني ، أيها الكون ،  
 وماذا تريد مني ؟ »

. . . . .

أويقات سجلت في كتاب الحياة ، أتمنى رجوعها لحظة  
 ويأسف لانقضائها قلبي ، ولكن فكري ليس ليشتبهها لأننا  
 في عالم نشوء وارتقاء . ولئن اكتفى جزء من النفس مرة  
 فهناك جزء آخر يبقى متفاتماً من اظلال الماضي ، تائقاً  
 الى المستقبل المجهول ، لا يعرف لذة الارتواء وسعادة  
 الاكتفاء . . .

« أتمنى ان اسافر وأموت غرقاً »

« أودُّ ان أبرع في أساليب الهزؤ والتنكيت الخ. الخ »

\*\*\*

فسألت نفسي بعد قراءة هذه النبذة « وما هي أمنيتهك الآن؟ » وأغمضت عينيَّ منتظرة الجواب . وما أغمضتهما الا وتلاشت الاصوات حولي ، ونسيت محيطي ، ورأيتني سابحة فوق الازرق الوسيع ، ورائحة المראה البحرية وطعمها يخترقان كياني بينا الأهوية والنسائم يتناقطنني . يا لهذا البحر الجميل كم من أرضٍ محبوبةٍ يحول دونها ، وكم من وجهٍ عزيزٍ يحجب عن المشوق معناه !... وما لبثت ان وجدتني مستلقية على الشاطئ البعيد . . .

أعرفون تلك البقعة الهادئة المنبسطة على شفة البحر تحت ذبائك المكان المدعو « بوطا نهر الكلب » ؟ أما زالت هناك كما كانت يخاصمها البحر ويصالحها ليل نهار ؟ هناك أودُّ ان أنام ، شأني وأنا في الثانية عشرة من سنواتي البشرية . هناك الرمال ذهبية نظيفة لا تفتأ الامواج تغسلها

## أجوبة الفتيات

نشرت احدى صحف اليوم تحت هذا العنوان النبذة التالية : « ألفت نشرة امتحانات التعليم الابتدائي الفرنسية على الفتيات المتقدمات للحصول على الشهادة هذا السؤال « ما هي غايتك من الحياة ؟ ». وبعض الأجوبة جدير بالذكر . منها :

« أريد أن أكون من راهبات القديس فرنسيس

لأمرض المرضى طول حياتي »

« لقد قرّ رأيي على ان أكون مريضة »

« أودّ ان أكون ملكة على فرنسا »

« اشتهي ان أصير أمّاً »

« أودّ ان أكون راعية للغنم »

« أطمع في الحصول على ساعة »

« أريد أن أكون بطلة مثل جان دارك »



الهندية حيةً قرب جثة زوجها. واني لعلّ يقين من أنه  
سيجيء يوم فيه يصير الناس أتم أدباً من ان يقلقوا الآفاق  
بطبول مواكب الاعراس والجنائزات ، وأسلم ذوقاً من أن  
يحدثوا الأرض وساكنيها انه جرى لأحدهم ما يجري لعباد  
الله أجمعين من ولادةٍ وزواجٍ ووفاةٍ

وتمهيداً لذلك اليوم الآتي أحيي الآن كلّ متشح  
بالسواد ؛ أما السعداء فلهم من نعيمهم ما يغنيهم عن  
السلامات والتحيات . أحيي الذين يكون بعيونهم ، وأوائك  
الذين يكون بقلوبهم : أحيي كلّ حزين ، وكلّ منفرد ،  
وكلّ بائس ، وكلّ كئيب . أحيي كلّ منهم متمنية له عاملاً  
مقبلاً أقلّ حزناً وأوفر هناء من العام المنصرم

نعم ، للحزين وحده يجب ان يقال « عام سعيد ! »

الناس يتبعونها الآن صاغرين لأن العادة أقوى الاقوياء  
وأظلم المستبدين

ان المحزون أحقّ الناس بالتعزية والسلوى ؛ لسمعه  
يجب أن تهمس الموسيقى بأعذب الألحان ، وعليه ان يكثر  
من التنزه لا لينسى حزنه فلحزن مهذب لا مثيل له في  
نفس تحسنُ استرشاده ، وانما ليذكر ان في الحياة أموراً  
اخرى غير الحزن والقنوط

ألا ربّ قائل يقول ان المحزون من طبعه لا يميل الى  
غير الألوان القائمة والمظاهر الكئيبة . إذا دعوه وشأنه !  
دعوه يلبس ما يشاء ويفعل ما يختار ؛ دعوا النفس تحرك  
جناحها وتقول كلمتها ! فللنفس معرفة باللائق والمناسب  
تفوق بنود اللائحة الاتفاقية حصافةً وحكمةً

بل أرى ان أخبار الافراح التي يطنطن بها الناس  
كالنواقيس ، ومظاهر الحداد التي ينشرونها كالأعلام ، انما هي  
بقايا همجية قديمة من نوع تلك العادة التي تقضي بحرق المرأة

بموجب مشيئة بيئته المسجلة في لوائح الحداد الوهمية . كأنما هو قاصر عن إيجاد حداد خاص يظهر فيه - أو لا يظهر - حزنه الصادق المنبثق من أعماق فؤاده

إذا خرج المحزون من بيته فلا زيارات ولا نُزّه ولا هو يلتقي بغير الحزاني أمثاله . عليه أن يتحاشى كل مكان لا تخيم عليه رهبة الموت ؛ المعابد والمدافن كعبة غدواته وروحاته يتأمها وعلى وجهه علامات اليأس والمرارة

وأما في داخل منزله فلا استقبالات رسمية، ولا اجتماعات سرور، ولا احاديث إيناس . الازهار تختفي حوله وخضرة النبات تذبل على شرفته، وآلات الطرب تفقد جأة موهبة النطق الموسيقي؛ حتى البيانو أو الارغن لا يجوز لمسه الا للدرس الجدي أو لتوقيع ألحان مدرسية وكنسية - على شريطة أن يكون الموقع وحده لا يحضر مجلسه هذا أحد . أما القرطاس فيمسي مخططاً طولا وعرضاً بخطوط سوداء يجفل القلب لمآها كانت هذه الاصطلاحات بالأمس على غير ما هي اليوم، وقد لا يبقى منها شيء بعد مرور أعوام . ولكن

## عام سعيد

كلمة يتبادرها الناس في هذه الايام ولا يضمنون بها الا  
على المتشح بأثواب الحداد . فاذا ما قابلوه جمدت البسمة على  
شفاههم وساخوه صامتين كأنما هم يحاولون ظلاء وجوهم  
بلون معنوي قام كلون أثوابه

ما اكثرها عادات تقيدنا في جميع الاحوال فتجعلنا من  
المهد الى اللحد عبيداً ! نتمردُ عليها ثم ننفذ أحكامها مرغمين .  
ويصح لكل أن يطرح على نفسه هذا السؤال « أتكون  
هذه الحياة «حياتي» حقيقة وانا فيها خاضع لعادات واصطلاحات  
اسخر بها في خلوتي ، ويمجسها ذوقي ، وينبذها منطقي ، ثم أعود  
فأتمشى على نصوصها أمام البشر ؟ »

يبتلي امرؤُ بفقد عزيز فيعين له الاصطلاح من اثوابه  
اللون والقماش والتفصيل والطول والعرض والازرار فلا  
يتبرنط ، ولا يتزيا ، ولا ينتعل ، ولا يتحرك ، ولا يبكي الا

والمساواة أما الاعمال فلا يظهر فيها غير تنازع البقاء وتنازع القوة، وتنازع الغلبة والظفر بين الافراد والجماعات في شؤون العمران والدين والطبيعة. ليس غير التنازع من سبب في أن تقيم الفنادق الكبرى شجرة عيد الميلاد ليدور حولها الراقصون الراغبون في نسيان همومهم وتسريح غمومهم. وهو هو باعث نظرات السرور في عيني طفلٍ يرقب لعباتٍ ودمى وخيل وأسلحة ومركبات عمرت بها نوافذ المحال التجارية. وهو منبه الذكرى في نفوسنا ومعيدنا الى أيام كنا نرى في هذه اللعيبات الكون بأسره. كما انه في الوقت ذاته العاطفة التي تحولنا عن هذه الاشياء الى ما هو خير منها. أو ليس هو ذلك التنازع في شكل مجاملة، صارت بالاستمرار اخلاصاً اجتماعياً، الذي يجعلني أقول: كل عام وأنتم ...

## دنا عيد الميلااد . . .

دنا عيد الميلااد وجاءت معه جميع الذكريات والتصورات  
والمعاني الخاصة به . غداً يلقي الواعظون من على المنابر  
كلمات الرفق والاحسان والعفران ، وينشد المنشدون  
« المجد لله في العلى وعلى الارض السلام » فيسمع الناس  
الاناشيد والمواعظ ولا يحاولون ادراك كنهها ، وان ادركوا  
فلا يعتقدون بوجوب تطبيقها على أعمالهم ؛ لانها لجميع  
النصائح ثقلاً قيمتها بال تكرار ويستخف بها كلما تبرع بها  
المتبرعون

المجد لله ليس في العلى الذي لا نعلم ما هو فحسب ،  
بل المجد له في كل مكان وكل زمان . أما السلام فليس على  
الارض في أيامنا ، ولا ينتظر ان يحلّ عليها قبل ان يتغير نظام  
الكون وهو التصارع والتقاتل الذي لا يفتر ولا يضعف  
منذ مئات الاعوام والدهور تتجاوب كلمات المحبة



أيديكم لآلىء وجواهر! بارك الله فيكم جميعاً! أليس كذلك  
أيها القارئ اللبيب؟

والبوليس؟ لا توقضوه! انه نائم بالسلامة كطفل

(١٩١٦)

برىء...

الليل يدعى خفياً . وهو كذلك . انه ما زال بوليساً معتبراً  
 مادام قائماً مقام البوليس . ولا أعرف عن هذا البطل  
 الآخر سوى حادثة صغيرة جرت في شارعنا منذ اسبوعين  
 تقريباً : دخل لص بيتاً فأفاق أهل البيت ، وانتبه الجيران ،  
 وقبض هؤلاء واولئك على اللص وشريكه ، ثم تساءلوا اين  
 البوليس او القائم مقامه . فبعد ان بحثوا عن رجل الساعة  
 وجدوه نائماً كطفل بريء . . . فأيقظوه ! ويل لقساة  
 القلوب انهم لا يشفقون !

من الذّ أخبار اليوم حوادث ثلاث : سرقتان لمبالغ  
 ٥٠ جنيهاً و ١١٥ جنيهاً من بعض المخازن ، وسرقة  
 حلّ وجواهر من منزل سيدة وطنية بقيمة خمسين الفاً  
 من الفرنكات

بارك الله فيكم أيها اللصوص ! ان ضاعت ايامكم فان  
 ليايكم لا تضيع ! تذكرون قول الامريكان « الوقت من  
 ذهب » ، وقول السويسريين « السكوت من ذهب »  
 وتستخدمون الوقت والسكوت معاً فينقلب الذهبان بين

كألف المتقنة الصنع - وهذا يزيدُه شَبهًا باله الحدود القديم  
عند الرومان

استغفر الله ! لست أعني انه يظل واقفًا كالتمثال ! كلا  
ثم كلا ! انه يمشي أحيانًا ، ويرفع يده مسلمًا على بعض المارين  
في المركبات ، وطرف حديث مع الاخوان لا يزعجه بل  
بالعكس . وهو مع ذلك متممٌ أمور وظيفته . فاذا رأى قبيل  
المساء حوزيًا لم ينور شمعتي مر كبتة صاح اله الحدود الجديد  
باسطًا ذراعيه الى الامام وقال « نورياً أوسطى ! » . انه لبطل  
شجاع لا يحابي أحداً ، ولا يخشى هولاً إذا ما أمره الواجب !  
علينا أن نعترف من جهة أخرى بأن الحوزي يطيع مرة في  
المئة ويعصى تسعاً وتسعين مرة . مكنتياً بأن يجيب على أمر  
البوليس « حاضر ياسيدي ! » . يقول المثل « لاقني ولا  
تعشني » . وكذا يعمل الحوزي لأن ثقته في حلم البوليس  
لا حد لها . مهما كان المرء بوليساً فإنه يظل انساناً رحيماً  
هذه حالة البوليس في النهار ، أما عن الليل فلا تسلمني !  
قيل لي في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ان بوليس

الطلوع ، لكنني اعترفُ لك سرّاً بأنها مصيبة . فليست  
 الأيام أيام طلوع وكلّ مرتفع مُعرّض للمقذوفات . إنما  
 الزمان زمان خنادق . حفرت البورصة لنفسها خندقاً ملائماً  
 للأحوال وتزلت فيه صامته

غير اني اكرر ان الحالة لا توجب اليأس لان اللصوص  
 قوم أذكىاء ، اذا هددت الحركات غلت حركاتهم وتنوعت .  
 يتهادون بين المنازل والدكاكين تهادي ربات الجمال وذوات  
 الحجال . يسرون من باب الى باب ، ومن مستودعات  
 الجواهر الى مستوعات الأموال ، بخفة وهدوء لئلا يقلقوا  
 راحة النائمين . الأدب حسن في كل حين ، واللصوص جماعة  
 « جنتامن »

على اني أعجب للمسروقين لماذا يفضيهم انهم لا ينتبهون  
 لمرور الساعة الرهيبة ؛ أهذا جزاء المعروف ، يا سادتي ؟ أما  
 البوليس فلا اعتراض على وقفته : يقفُ في النهار بكرامة ،  
 وعلى مقربةٍ منه تتخاصم الناس وتتصادم المركبات ، وهو  
 والله الحمد واقفٌ بالسلامة ، منصوبٌ قوامه إلا من طرفيه

## الحركة بركة

شكا الناس هذا العام وما فيه من كثرة الجلبة في ميادين القتال وقلة الحركة في ميادين الاعمال . قال بعضهم ان مصر فارغة في هذه الشهور فراغ جيب البخيل . وقال آخرون ان جيب البخيل لا تفرغ ان كانت يده لا تمتلئ ؛ فسمى بالصلح جماعة أرضوا الفريقين بقولهم « بل قد تكون جيب البخيل ويده ملاءنين ولكن عينه تبقى فارغة »

هؤلاء الناس سفسطائيون لا يعرفون شيئاً . أيها القارىء ، لا بد ان اسميك اليوم لبيباً ، اذ لدي من الأقوال ما أود ان تقبله بلا اعتراض ، وأن تضحك له لا منه . لهذا لا بد ان تكون لبيباً . فاذا كان دولاب الاشغال ( كما يقول الاختصاصيون ) قد أكله الصدا ، وما كثر في هذه الايام من العمال الا العاطلون فلا تظن الحالة موجبة لليأس . صحيح ان البورصة تحزن السماسرة بعض الحزن لأنها عنيدة تأن

ومضيتو المصاييح يجرون في الشارع حاملين المشاعل . فوقف  
أحدهم يتفرج على السيدات وهو يفتأ عن أسنانه البيضاء ،  
ويثني على كل مارة الثناء المعتاد قائلاً بلهجتِه المصرية النغسمة  
« انت يا واد يا حلو ! انت ياللي زي الباشا ! انت يا واد  
يا حلوة »

هذه هي موعظة شهر الورود : على المرأة ان تكون  
وردة تحيط بها الاشواك . وما « أشواك » الوردة النسائية  
غير التكتم والحشمة والطهارة كما قال ذلك القس . فان عجبتم  
اليوم لهذا الكم الطويل الذي يتعثر قلبي بأذياله فاعلموا ان  
سببه موعظة شهر الورود . وان أعرضتُ عن ذلك الثوب  
الشفاف الساحر واستبدلته بهذا الشبيه بثوب ايننا الواعظ  
لكثافته فما سببه الا موعظة شهر الورود . وان غادرتكم  
الآن ، فما ذلك الا لاني أريد أسمع موعظة شهر الورود  
مرة اخرى : - على المرأة ان تكون وردة تحيط بها الاشواك



« أتعلمن ما هو الشباب والجمال؟ هما حديقة تملأها  
الازهار النضرة والعطور المنعشة، أمامها يقف المارئون  
معجبين. وما هو الايوم وليلة فتمر العاصفة صارعة أشجارها،  
مبددة أزهارها، مبيدة عطورها، وتغادرها خالية الامن  
أكوام التراب والاغصان المكسرة. هذا ما تسمونه  
جمال الشباب أي جمال القشور. أما الجمال الآخر فهو جمال  
الجوهر. الآلام تطهره، والمصائب تجلوه، والعواطف  
نعمه قوةً ونبلًا. هو الجمال الذي يبقى ناميًا مندى الحياة.  
هو مسعد العائلة، هو مساعد الزوج، هو مهذب الاطفال،  
هو السلام والخير والبركة. وتحفظه المرأة... اسمعن أيتها  
السيدات... تحفظ المرأة ذلك الجمال. عليها ان تكون  
وردةً تحيط بها الاشواك... »

انتهت الوعظة. فعزف الارغن الشجبيّ وابتدأ الزياح  
فاشترك الجميع في الترتيل وتصاعدت الشعائر نحو الله ملحنةً  
انغامًا ومحتركة امام هيكله بخورًا

وعند خروجه من الكنيسة كان الظلام يعمر المدينة

في الاخضاع بينا هو يعرض عن كل ما لا يكفه الماء وكداً  
« ام انتنّ تزيننّ للجمال ؟ ولكن هل الجمال في الزينة  
والاناقة وملاحة الوجه وتناسب الاعضاء ؟ كلا ! كم من امرأة  
تُحسب آية تناسب وملاحة وهي مع ذلك غير جميلة ، إذا سرّ  
امروء بمشاهدتها مرة او مرات فهو لا يتمنى مجالستها ويملئ  
كلامها وسخافتها بعد ان يعرفها قليلاً ، إذ يرى ان أحسن  
ما فيها هو هذا الشيء الخارجى الذي لا يكفي لامتلاك  
القلوب واكتساب الارواح

« ألا فاعلمن ان النساء اللاتي كنّ ذوات أثر في أعظم  
الرجال وذوات سلطة وشوكة حزنَ جمالاً أعظم من هذا  
الجمال الخسيس وأبقى . لقد كان لهنّ جمال النفس الذي  
تزيده الايام رونقاً بيناهي تحكّ القشرة هنا وهناك وتوسعها  
كل ساعة ذبولاً وإتلافاً . كان لهنّ جمال العقل وجمال  
القلب ، وجمال حسن التصرف ، وجمال اللطف الصحيح ،  
وجمال المحبة الطاهرة العميقة المستخفة بالمظاهر التي لا يفرها  
جمال الشباب وجمال الاناقة وجمال الازياء

وراءها مستوحيات أساليب التربية والتّهذيب

« اليها يلتجىء اليتامى الذين لا أمّ لهم فيجدون في  
حضنها الراحة والعطف والمساعدة . اليها تلتجىء العذارى  
لأنها أبهى مظهر للظهر والحشمة والوداعة

« اسمعن يا اخواتي يا نساء القاهرة ! اليكنّ أوجه  
هذه الكلمات فاقبلنها لأنها خلاصة اعتقادي . تعلمن الحشمة  
من مريم اتنّ بنات اليوم الناسيات . ما وقار المرأة واحترام  
الناس لها الا نتيجة حشمتها وعفتها . قد تكنّ عفيفات  
طاهرات في قلوبكنّ ولكن كيف يصنقكنّ الرأي ويحسن  
الظن بكنّ واتنّ تسرن في الشوارع بهذه الازياء الحديثة  
التي تعري منكنّ العنق والنحر والذراعين ، هذه الازياء  
الشريرة باقشمتها الشفافة ، الشريرة بقصرها وضيقها ، التي  
تعدم لابستها كل هيبة وجلال — ؟

«الأحبّ تترين؟ الأحبّ تهن في هذا التهنك؟  
الأفاعلمن إذا ان حب الرجل لا يكتسب بالتهتك بل  
بالتكتم . الرجل محارب من طبعه يهوى الفتوحات ويستमित

المعبد فتفحصتُ جدرانه وما قام عليها من صور وتماثيل ،  
وهندسته وما ميزها من نقوش ورموز ، وهياكله وما  
تفاسق عليها من صلبان وطاقت ازهار - تلك الازهار ذات  
الانحاء السري ، تتخللها شموع كأن لهيها تذكارات لاذعة  
في شفق الغيوبة والنسيان

لكل شيء في العالم نهاية . صمتت الاصوات فشى  
الساكن الى الدرابزون امام المذبح الكبير وبدأ موعظته  
الايطالية . وكان يقول أشياء عادية بصوت المثبت ، وشارته  
مرتبكة كاشارات التلاميذ في حفلة توزيع الجوائز . ولكن  
لم يلبث ان ارتفع صوته ، وركزت هيئته ، واتسعت اشارته ،  
ولمعت عيناه وهو يقول :

« الى مريم ربة هذا الشهر الجميل يجب ان تلجىء  
النساء جميعاً . فالامهات يتعلمن منها التجمل بالصفات التي  
أحاطت بها ابنها يسوع : وهي الخفاف والحصافة والمحبة  
الصادقة التي لا زهوف فيها ولا تهوؤر . لقد كانت ، وما زالت ،  
وستبقى ابداً اسمى مثال للامومة القدسية ، تسير الامهات

وتنبض بالحياة والقوة والتحوّل

الا اني لا أستحسن الصلاة الآلية المستطردة على  
وتيرة واحدة دون ان يشترك فيها العقل والقلب ، - الصلاة  
المتعاقبة الفاظها بين الشفاه والاصابع تمدُّ منها أرقاهاً معينة -  
لأنها أبعث الى التنويم المغناطيسي منها الى الايقاظ الروحي .  
قد يكون هذا التأثير من تفنن الشيطان في التجربة  
والخداع . قاتله الله ! لقد وسوس في صدري حتى  
شئت أفكارى وحماني على احصاء الحاضرين . وكانت  
النتيجة اني جزمت بان النساء اسبق الى دخول السماء نسبة  
الى عددهنّ في الكنيسة ، اذ لم يكن بين مائتي امرأة الا  
رجلان وخمسة ارباع . اما الرجلان فرجلان ، واما الخمسة  
الارباع فصبيان صغار خمسة جاءوا مع امهاتهم . ولم كنت  
ظالمة في الاحصاء والحكم ! ذلك اني عند الخروج وجدت  
جمهور الرجال في مدخل الكنيسة ، يقفون هناك مراعاة  
للسيدات وتكرماً منهم لهنّ بالمقاعد  
وظلّ الخناس الوسواس يجربني فحسن لي تفحص

وتتوارى هي أيضاً وراء باب الكنيسة ، لأجد مني شوقاً  
الى مشهد الهياكل وتوقاً الى رائحة البخور . أضحكوا ما شئتم ،  
انتم الزاعمون ان الثوب المليح دعائي ، وان زيه البسيط  
تخزينه الدقيق كان له مع المرأة مني احاديث

أما الكنيسة فكانت مملوءة بالمصلين ولم يخلُ في مقاعدها  
إلا مكان واحد جثوتُ عندهُ قرب الكاهن الراكع امام  
المذبح يتلو المسبحة باللاتينية فيردُّ عليه الجمهور باهجة الخاشع  
المتهيب

لا أعرف شيئاً اجمل وأسمى من الصلاة في أي دين  
من الاديان ، لانها رفع النفس الى أعلى درجات الارتقاء  
ومحاولة الدنو من روح الحياة الكبرى . هي مناجاة العابد  
للمعبود ، هي شكر الخلق للخالق واستعطافه لاستئصال  
عطاياه . وما اعذب هذا الاعتقاد ان في السماء ، هناك وراء  
جمع القوى والعجائب الكونية ، الهاً قديراً لا يقضى دونه  
أمر ، لديه النعم يفيضها على الحاجة البشرية ، وعزة يتلاشى  
حيالها ضعف الانسان ، وجودٌ يعمُّ البرايا فتموج وتنوع



حتى بدت الاشعةُ حزينةً بما مزجها من معاني الفراق . وما  
 كان اندر المركبات والسيارات في ذلك المنعرج ، والمارثون  
 يتبادلون نظرة كلهم لقلّتهم يقولون « رأيت ؟ لا أحد  
 إلّا نا ! »

أتيت على آخر الشارع فنفذتُ الى شارع رحبٍ  
 طويل هو شارع ماريت باشا المؤدي الى دار الآثار المصرية .  
 خطواتُ مترددة بين العودة من حيث أتيتُ ومتابعة  
 المسير الى الامام . واذا بناقوس يدقُّ على مقربة مني ولرنيته  
 ازاء الغروب دويٌّ متوسل حنّان . فالتفتُ الى جهته  
 فوجدتني امام كنيسة صغيرة رأيتها مراراً ولم ادخلها مرة  
 وقفت اتأمل واجهة الكنيسة وادير النظر في الحديقة  
 التي تتقدمها وكانت تجتازها بعض السيدات . فلما توارين  
 وراء باب الكنيسة تبادر اليّ انه يحتفل بصلاة الشهر المريمي  
 في هذه الساعة من كل يوم على طول الشهر ، لان ايار  
 ( مايو ) مكرّس للعذراء . ولم يعد ينقصني الا ان أرى فتاة  
 تسير بخطوات عصفور في ثوبٍ أزرق كزرقة الاحلام

## موعظة شهر الورود

دنا المساء فهزّني طربُ الربيع ورغبتُ في الخروج  
 والتجوال لاشارك الطبيعة في افراحها. كأنني حسبتُ جدران  
 البيت تقطع الصلة بيني وبينها، وتشعرنني بأني محرومة من  
 مشاركة الموجودات الهاتفات بريح أيار بين الغصون  
 وبزينة الارض العروس

خرجتُ وليس لي وجهة معينة اطلبُ بداهةً أحياء  
 قلما اخترقتها. فسرتُ في شارع قصير على مقربة من شارعنا  
 كأن نفسي المتيقظة لبت داعي الاخضرين المحيطين بهاتيك  
 المنازل: أخضر يسطُ على أرض الحديقة طنفسة مخملية،  
 وأخضر يتعالى ظليلاً فيعكس طيف افنانه على وجه الجدران.  
 الشاهقات

سرتُ متمهلاً أنتقل من رصيفٍ الى رصيفٍ، والشمس  
 آخذة في التحدّر وقد انكسرت حدتها، ولطف نورها،

اكتب هذا وأنا أعضُّ على سبباتي ضاحكة . لا  
تغضبوا يا سادتي الصحفيون . كلنا معترف بالخير المتدفق من  
اقلامكم على من يقرأ وعلى من لا يقرأ جميعاً ؟ واشهد باحترام  
ان وجودكم بيننا عنوان ارتقائنا ، اليس كذلك ؟ غير اني  
اريد ان انصفكم فأقول : لئن كان كل منكم القدرة  
المجسمة ، فان هناك شخصاً اقدر منكم لو اتحدتم جميعاً .  
لا تظنوا ان الله هو من اعني ، بل هو بطل قلم الرقابة . . .

هو الرقيب

( ١٩١٦ )

ويجيد كتابنا في بعض المقالات المنشورة في الصحف  
السيارة . يجيدون في تشخيص الداء وفي الارشاد الى  
الدواء . فترى أحياناً بين التلغرافات والحوادث المحلية  
سطوراً أدبية ملؤها الشعور الصادق والاختبار والمعرفة .  
وهذا فضل يضيفه الصحفيون الى افضالهم الكثيرة . فان لم  
يكن الشعور ضرورياً للقيام بواجباتهم ، فهم يعرفون كيف  
يستعملونه ومتى يظهرونه

أصبح الصحفيون زمرة قوية تحشأها الارض ومن  
عليها . فهم ينتقدون القوانين ، ويحاجون الحكومات ،  
ويسنون أوامرهم للبشر ، ويسطون آراءهم لأولي الحل والعقد  
حتى اذا شعروا بأن الفكرة التي يبدونها بعيدة عن ذهن القارئ  
عمدوا إلى أسماء التحجب فدعوه تارة « القارئ اللبيب »  
وطوراً « القارئ الكريم » وحيناً « القارئ العزيز » الى  
غير ذلك من النعوت الطيبة التي ترضي الجميع . فيقتنع  
القارئ بأنه لبيب وكريم وعزيز ، فعلى كل لبيب كريم عزيز  
ان يفكر ان ما جاء في المقال هو الحقيقة بعينها

ونشر الحوادث المحلية . فاذا فعل اجاد وكان عند ربه وعند  
الناس مرضياً

على ان خدمات الصحافة جليلات ولا غنى لامة متمدنة  
عنها . ولصحافتنا العربية مزية خاصة في هذا العصر  
بكونها لسان حال الادباء والعاماء والمفكرين والمتشرعين .  
كتب العلم والادب قليلة عندنا لان علماءنا وأدباءنا  
قليلون . وقد ندر بينهم من استطاع تأليف كتاب  
والاجادة التي هي شرط الافادة . أما معظم الكتب المتداولة  
بين أيدينا فنقول عن اللغات الاجنبية واذا كان لنا منها فائدة  
فهي ، على كل حال ، لم تكتب لنا ولم تلاحظ احوالنا ووراثتنا  
وأخلاقنا في تأليفها . ولا يستطيع الايمان بذلك الا كاتب  
منا . لان الكاتب الاجنبي لا يفهم طبيعتنا الشرقية تماماً  
مهما عاش بيننا وهو ذو طبيعة متباينة ، فلا بد من المقابلة  
بينه وبيننا في كل امر . وهو لا ينظر اليما الا بعين الغرب  
للشرق أي بعين الاستفهام الدائم ، بعين الاستغراب  
والاستحسان اللذين يتجاوزانه امام كل حركة من حركاتنا

محنكا ، عالمًا علامة وبحراً فہامة . واذا أردت معرفة ألقابہ  
الآخري فعليك « بنجعة الرائد » لليازجي صفحة ٢ الباب  
السادس من الجزء الثاني

الادب فن التعبير عن العراطف والميول والتأثيرات  
نثراً ونظماً . فالشعر فرع من الادب . والشرط الجوهرى  
للكتاب الادبى هو ان يكون ذا احساس قوي ينفث بجميع  
الحوادث ، فاذا نقص هذا الشرط تلاشى الكاتب الادبى  
وكيف يؤثر من لا يكون متأثراً : ألا ان الذكاء  
يتعب ، والعلم يعذب ، والحرية الفكرية تقلق النفس . ولكن  
عرفت كيف تضرب على أبواب القلوب سمعت الجواب  
دواماً . تجاوزك الدموع . دموع التعزية في الغالب ،  
ودموع الألم أبداً

أما الصحافة ففي نشر الاخبار السياسية والاجتماعية  
والعامة والادبية . فهي إذن مختلفة عن الادب كل  
الاختلاف . اذا احتاج الاديب الى شعور قوي فلا حاجة  
للصحافي الى ذلك ، وما عليه سوى نقل الانباء التلغرافية



## بين الادب والصحافة

تساءل مستر برسي هويت في احدى محاضراته  
 الاخيرة بالجامعة المصرية : هل الادب والصحافة واحد ؟  
 وما لبث ان اجاب نفسه قائلاً : « كلاً ليسا واحداً . قد  
 تلامس الصحافة الراقية ، في بعض موضوعاتها ، المعاني  
 الادبية العالية فتوسم بوسمها وتؤثر تأثيرها . لكن الصحافة ،  
 بوجه الاجمال ، تختلف عن الادب من حيث الغرض  
 والمرمى والتأثير »

بينما كان الاستاذ يسطر رأيه كنت أضاحك نفسي  
 قائلة : قد يكون هذا رأيكم ، أيها الغربيون ، لكن الامر  
 عندنا على غير ما تذكرون . عندنا إذا كتب المرء مقالات  
 قليلة في الزراعة مثلاً ، حاز دفعة واحدة جميع الالقاب  
 الكتابية المدونة في القاموس فاصبح كاتباً مجيداً ، أديباً  
 اريباً ، مفكراً مبتكراً ، شاعراً فذاً ، خطيباً موهباً ، سياسياً

اجتماعهما المنتظر فكنتَ بينهما حائلاً - فما ذنبك ؟  
 سخط الشاعر وسبك بالاوزان والاسجاع على نحو  
 ما يكون سباب الشعراء ؛ ولكنه اذا كان شاعراً صمماً فما  
 لبث ان هداً سخطه وفكر في شعوبٍ جائعةٍ تنتظر منك  
 ارواء غليلها وضمانه قوتها

ولكن لعلَّ الشاعر كان مصرياً فما استطاع ان يرى فيك  
 ما تراه شعوبٌ ليس في ديارها نيل كريم يفيض بدموع  
 الآلهة فيغنيها عن منافعك وأضرارك ؟

يحق لبعض المصريين ، من جانبٍ آخر ، ان يقرأوا  
 الشاعر القديم في قوله « وليس عليك يا مطر السلام » ، يحق  
 لهم ذلك اذا ما رأوا الاحياء غير الاوربية في هذه المدينة .  
 والاحياء الاوربية وغير الاوربية من الامور التي تسوسها  
 مصلحة التنظيم . ومصلحة التنظيم - كما تعلم أو كما لا تعلم ، ايها  
 المطر - دائرة من دوائر الحكومة . فاذا ذكرناها بغير الشناء  
 والتعظيم والتبجيل كان نصيبنا منها نصيبك من شاعر ايلي -

( ١٩١٦ )

على الاقل !

## سلام الله يا مطر<sup>ه</sup> عليك

قلبتُ الشطرُ وغيَّرتُ منهُ المعنى لا نصفك ، يا مطر  
 الجوّ ، وأثارُ لك من الشاعر العربيّ . وسواء أعناك في  
 شعره أم عنى رسولاً اسمه « مطر » ، أم جعل الحكامة الواحدة  
 في الشطرين تعنيك مرةً وتعني الرسولَ أُخري — فأنتَ ،  
 يا مطر الغيوم ، مظلوم . وما أظلم الشعراء يوم لا يرحمون !  
 وما ذنبك أنت المنفعل وان خلناك فاعلاً — ما ذنبك إذا  
 امتصتكَ الشمس من البحر بخاراً ، وعقدتكَ في الجو مسجاباً ،  
 ثم تفجَّرت السحب وتدققت سيولاً تروي السنابل والأشجار ،  
 وتذبل الأنبته والأزهار حيناً في انتظار ربيع يحبوها من  
 جديد بنضرة الشباب وسحر الحياة ؟

وما ذنبك إذا أبطأ الرسول مطر في رسالته — فاعل له  
 في طريقه ليلي تحدته ؟ وما ذنبك ان لم يعد مطر الرسول الى  
 الشاعر بجوابٍ مرضيٍّ من ليلاه ؟ وهب انك هطلت قبيل

اما الدكتور شميل الذي تفضلت وهنأته « بهذه  
الخطوى » فلدت اعرف كيف تقبلها واذا كان اعجاب  
رجل اجنبي او شرقي يهمه كثيراً . ولكني اعرف ان اسمه  
من الاسماء التي سيفتخر بها الشرقيون دواماً سواء كانوا  
مؤمنين أو ملحدين . لم يكتب ضد الدين أحد أكثر من  
فولتر ورغم ذلك فمقامه الادبي محفوظ حتى لدى المتدينين ،  
ويفاخر ابناء فرنسا بان ينعتوا لغتهم باسمه فيقولون عنها

( ١٩١٥ )

« لغة فولتر »

الطب ووجب علينا ان نحسبه من حيث طبيعته شراً ؟  
 هذا العلم الذي هو آلة شر وفناء في يد المانيا وغيرها الآن كان  
 وما زال آلة خير وحياة في يد ألوف من الافراد وعشرات  
 من الشعوب . لذلك لا يتحتم ان يكون المؤمن جاهلاً . فالدين  
 شيء والعلم شيء آخر . الدين يهذب شخصيتنا المعنوية والعلم  
 ضرورة من ضروريات حياتنا الاجتماعية . هذا للزمان  
 وذاك للابدية ، وليس لاحدهما ان يلاشي الآخر

يختم حضرة ب . ر . مقاله كمن يتساءل ألا يُنجبل  
 الكتاب لانه لا يعتقد اعتقاد اميل اماجات ؟ لست  
 ادري ، يا سيدي ، لاني لم اسأله بعد . ولكني اعتقد ان  
 الدين علاقة سرية بين الخالق والمخلوق ، اعتقد ان كل  
 امرىء يلاقى نتيجة افعاله ولا يتحملها عنه احد ، اعتقد ان  
 الله منح البشر حريتهم — اسمح لي ان اذكر الحرية بلهجة  
 غير لاهوتية — فعلى كل ان يرى وجهة اخير امامه ، ويعبد  
 ربه ويخدمه كيفما شاء . ما دام الله سامحاً بذلك ، لماذا  
 لا يسمح به الناس ؟

حياة سمح بان تكون ، وهدموا دياراً سمح بان تُشاد ،  
 ومزقوا أجساداً وسحقوا قلوباً عادوا الى كنائسهم ومعابدهم ،  
 وجثوا امام الاله العظيم اله الرحمة والحب والاشفاق ،  
 وانشدوا : « اياك اللهم نعظم » ! ان الاديان لتبرأ من فظائع  
 الحروب ولا تجوز الا الدفاع عن الوطن اذا هاجمه  
 الاعداء . وليكن جميع النفوس لا تفهم الاديان كما هي ،  
 بل كل منا يفهم دينه حسب درجة عقله وميول قلبه . ولا  
 يقتصر البشر على الايمان بالمقائد الدينية الاساسية بل  
 يتعصبون لاعتقادات اخرى اضافية لم تكن الا اختراع التعصب  
 والجهل . وكثيراً ما يستفيد رؤساء الشعب والحكومات من  
 هذا التعصب فيشبهون الحروب ، ويقودون الشعب المسكين  
 الى حيث لا اثر للدين ، ولا منفعة لغير السياسة

فان استعمل الالمان وسواهم العلم وابدلوا كل مالهيم  
 من معرفة وحيلة في سبيل قهر اعدائهم ، فهل هذا يعيب  
 العلم ؟ الطب عائد بالخير على الانسانية ، فهل اذا دس  
 طبيب لعليله السم لغرض من الاغراض فسدت منفعة



« الغلو والافراط » في التجاء امرأة ضاع منديلها مثلاً ، الى القديس انطونيوس تستحلفه بأمه وابيه ان ينزع منديلها من ايدي الشياطين ويضعه في جيبها مباشرة ، وذلك بمقابل بخور بكذا قروش تهديه اليه في الغد . ولماذا لا يكون « الغلو والافراط » في التجاء السيدات المسلمات الى « الزار » والمشعوذين . ولماذا لا يكون « الغلو والافراط » في حرق المرأة الحية قرب زوجها الميت عند الهنود ؟

اظن ان مثل هذه الاعتقادات الصبائية والعادات

الفضيعة تستحق نعت « الغلو والافراط »

بعد خطة الدفاع يتخذ حضرة ب . ر . خطة الهجوم

فينتقل دفعة واحدة من الدين الى الحرب . واعترف بان هذا

الهجوم الفجائي يدهشني بعض الدهشة ، وهو يعلم ان

لا دخل للدين في حروبنا اليوم . نعم انهم يفتتحون الحرب

باسم الله ، وينادونه الى الاخذ بيدهم ، ويلقونه — وهو الرفيع

عن كل تعلق — قائلين : أنت الهنا وأنت معنا . حتى اذا ما أفنوا

شعري خيالي . ففي التوراة يفيض الشعر فيضاً جميلاً  
من مزامير داود الى نشيد سليمان ، الى سفر أيوب ، الى  
نوح ارميا . واما الانجيل فملوء بالرموز والاشارات كما انه  
ملوء بالتعالم العالية المؤدية الى الكمال الاسمى . والسيد  
المسيح نفسه قال انه يتكلم بالرموز ويضرب الأمثال  
على اني استأذنت حضرته بالفاته الى قول الكاتب  
الاجنبي ان « امثاله ( الدكتور شميل ) يهدمون ما في  
الاديان والجمعيات من الغلو والافراط » . هذا صريح  
لا يحتمل تدليلاً . فهل « الغلو والافراط » يعينان الايمان  
باله اذلي سرمدى ؟ كلا . ان هذه الفكرة العظيمة ام  
العقائد الدينية وغير الدينية جميعاً . انها ملازمة لفكرة  
الخليقة ملازمة لا تقبل انفصلاً . وسواء دعيت تلك العناية  
المثلى « هو وهي » كما يدعوها الاسرائيليون القدماء ، ام الله ،  
ام الطبيعة ، فهي هي ، وما كان البشر الا معددين لها  
الاسماء والالقب . « واصدقاء » الكاتب الاجنبي يؤكدون  
لحضرة ب. ر. ان الرجل مؤمن بالله . فلماذا لا يكون

## الى حضرة ب. ر.

اشكر حضرة معترض جريدة « الاخبار » اهتمامه بما نقلتُ عن الكاتب الامريكى . وما كنت لأزعجه بجواني هذا لولا اني شعرت في رده بشيء من سوء التفاهم بيننا . فلما ان تكون « الاخبار » نسيت سهواً نقل الجملة كما هي فاستأذنها بالاشارة الى ذلك . واما ان اكون اسأت التعريب - وهذا هو الاصح - فوجب عليّ الاصلاح قدر المستطاع

لست بمناقشة ، لاني يوم عربتُ رسالة الكاتب الاجنبى لم اكن ناشرة الا رايه دون رأيي . ولا أنا بمعتضة على قول حضرة ب. ر. ان الكاتب اخطأ اذ خاض في الموضوع « بكلام خيالي شعري » . اولاً لان الرجل ليس شاعراً . ثانياً لاني اضطر آتئذ ان أذكر حضرة ب. ر. ان التوراة والانجيل الشريفين مكتوبان باسلوب

الشهير اميل اماجات الذي خسرت له العلوم ونعمته فرنسا الى العالم حديثاً وهو أحد أعضاء الجمعية العالمية في باريس والجمعية الملكية في لندن له المباحث الخطيرة والاكتشافات النافعة في كثير من فروع العلوم الطبيعية . فهذا الفقيه لما اشتدت عليه وطأة المرض استدعى الكاهن وقال له : « ظلمت لك لتوهلاني للحضور امام الله . اموت مؤمناً بكل ما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية . . . قد كان لي ديني راية يعلم الله اني ما دنستها بما يشين لاجل مجد أو مقام »

افلا ينجل حضرة الكاتب من ايمتهانه الافكار القديمة والعقائد الدينية ورميه بالجهل الناس الذين يقبلونها بلا بحث ولا جدال . وهو يرى امثال اميل اماجات متمسكين بها متممين بكل افتخار الى الكنيسة التي تعالها ؟

« ب . ر »

فيها ولا يزالون ينقضون اليوم ما بنوا أمس على حين نراهم هم انفسهم يزدادون كل يوم تمسكاً بتلك الافكار التي يدعوها حضرة الكاتب قديمة . ويجاهرون مفاخرين بتمسكهم بها كنيوتون و اراجو وباستور وامبير وغيرهم كثيرين ممن يحسبون أئمة في العلوم

وانا لندهش من ان مراسل الانسة مي محرم نفسه الان لذة التمتع بمشاهدة ما تتجلى به الافكار الحديثة من مظاهر الرقي وتهذيب الطباع وتلطيف الهمجية القديمة باستعمال الغازات السامة وطرق القرصنة وأساليب صب البلاء على الارباء والضعفاء فضلاً عما أفادت الامان — وهم أخص مروجيها ودعائها — من القدرة التي سمت بهم الى قتل الاسرى والفكك بالاحداث والشيوخ والنساء

فأحر الكاتب الغيور ان يذهب الى ميادين القتال هناك ويساعد الالمان في هدم معاهد تلك الافكار القديمة ومعاقلة تلك المعتقدات الدينية التي اثقلها صدى الاجيال كريمس وشقيقاها . ولا يخفى ان المجال هناك وحب لغيرته فهذه « الافكار القديمة » تتجلى الان بأبهى مظاهرها في فرنسا في الحنادق والمعابد والمعاهد والمعسكرات حيث تقام الشعائر الدينية ومجهر الجميع بالصلاة . ولم يفت أصدقاء الكتاب في مصر الوقوف على شيء من مظاهر هذه الافكار في وفاة ومشهد الجندي لروى ومن كلام الكولونل موكور الذي ابنه بالطف كلام وسكب على حراح ذويه بلسم التعزية بذكر وفاته للمسيحية منزوداً الاسرار المقدسة

ويحسن في هذا الصدد ان نذكر ما نقل عن العلامة الافرنسي

نقلت جريدة « الاخبار » فقرة من هذه الرسالة  
فأرسل أحد القراء الى الجريدة الاعتراض التالي :

## الأفكار القديمة

ومراسل الأنسة مي

مكاتب حضرة الأنسة مي الذي نشرت الاخبار شيئاً من كلامه  
نقلًا عن المحروسة . لا نعرف منه سوى انه « مسرور من وجود  
مثل الدكتور شمیل في الشرق لان هذا الرجل لازم لهدم الافكار  
القديمة التي يتقبلها الناس بلا بحث ولا جدال الخ » فنهى حضرة  
الدكتور بهذه الحظوى - ولسكننا نأخذ على حضرة الكاتب خوضه  
في مثل هذا الموضوع الخطير بكلام خيالي شعري هو من الابهام  
بحيث لا يفيد الا التضليل وامتهان النفس باشرف عاطفة فيها

تدل القران على ان حضرة الكاتب يريد « بالأفكار القديمة »  
العقائد الدينية كالإيمان بالله كامل سرمدى الخ مثلاً مما تخضع له المقول  
على سموه وعجزها عن فهم كنهه . فمثل هذه الافكار على قدميتها -  
نابت على أقوى الاساس والبراهين التي طالما احتك بها المتفلسفون  
وصقلتها الاحيال فلم تزدها الا ارهاقاً

وانا وايم الحق لنستغرب من الكاتب امتعاضه من تلك  
« الافكار » ورميه ذوبها بالجهل والتعمسة واقتنانه بالأراء الحديثة  
وادعاءها لأرجحية الثبوت والوضوح . ونحن نرى العلماء يتنازعون



من الامريكان الالمان المحتجين في اذنه اليمنى ، و باقي ملايين  
الامة المحتجة في اذنه اليسرى ؛ هذا مع حالة المكسيك  
الحاضرة التي تكاد تشتعل اشتعالا

« امريكا رغما عن شعبها الالمانى الاصل تجاهر بميلها  
الى الخلفاء بلا خوف ولا تردد. لا أعني الحكومة بل الشعب .  
هناك امر لا يحتمله امريكاني حرّ ربي على فكر الحرية  
وشرب ابنها كما شربه من قبله أبؤه — وهو مهاجرة بلجيكا  
وغزقتها . هذا ان نغضه لالمانيا قط

« قولي هذا للدكتور شميل اذا شئت . و األيه ان  
لا يصدق كل ما يكتبه عنا كتاب فرنسا وانجلترا كما اني  
لا اصدق شيئا مما يكتب عن الشرق والشرقيين . قولي له  
ذلك واهديه احترامي »

ها أنا قلت لك ذلك وأهديتك احترامه مشفوعاً  
باحترامي ، يا سيدي الدكتور . أفضل ذلك مترقبةً بعض  
صواعقك عربية كانت أم افرنجية ، فقد اوحشتنا كثيراً  
نارها العذبة

(١٩١٥)

أمريكا؟ كم من الملايين أرسلت الى الخلفاء في هذه الحرب الطاحنة؟ غذاء بلجيكا وكسوة ما يذهبان من وراء البحار وامريكا ترسل اليها ٣٦ مليوناً شهرياً . بعض السيدات من أجل نساء امريكا تركن أزواجهن وأولادهن وذهبن لمعالجة الجرحى في ميدان القتال . الرجل الاميريكي أحسن زوج في نظر الفتاة الانجليزية ، لا لأنه اناني ، بل لأنه يحترم المرأة ويعترف بمواهبها العالية ويعاملها المعاملة التي تستحقها رقتها وسموعواظفها . أعظم المستشفيات في باريز امريكية وينفق عليها من ثروات امريكية فردية . قد يرى الدكتور شمبل في كل هذا انانية ، ولكنها انانية كريمة جميلة

«العالم الجديد جديد في كل شيء . في اختباره ، واعتقاده ، وعمله ، وأسلوبه ، وحريته . ولكن ليس فيه الانانية التي تظنون » تضحكين من امريكا لانها تبعث باحتجاجاتها يمنة ويسرة . وانا أضحك . صحيح اني لا أريد ان اكون في موقف الدكتور ولسن في هذه الايام . ان هذا الرجل المسكين لا يدري على اي رجل يرقص بين عشرة ملايين

تعلمي ان الأمريين لا يُطلبان من رجل واحد . فالطبيعة  
وحدها مدمرة معمرة

« أما ما في أخلاق فيلسوفكم من التناقض فلا بد انه  
راجع الى الوراثة ، نام بالظروف . لا بدّ ان يكون الدكتور  
عنيف الطبع حاد المزاج ، ولهذا الخلق جماله . على اني أحب  
الخلق الهسادي الذي يترك الآخرين يتخاصمون حتى اذا  
ماسمع ما يقولونه من الحقائق والخرافات أعرض عن التافه  
من اقوالهم وتمسك بالصواب . فلا يتحول عنه ، بل كلما  
مرت الايام زاد به ثقة وحباً

« لا أدري لماذا يقول الدكتور شمبل ان الامريكيين  
انانيون . هل عرف حضرته بعض ابناء وطني فحكّم على أمة  
لاجل أفراد ، أم هي فكرة تناقلتها الالسن والاقلام فأثرت  
في فكره ؟

« ما هي البيئات التي تقنعه بان الامريكان اكثر انانية  
من غيرهم ؟ أود ان أسأله اذا حلت على العالم الولايات فمن  
يسارع الى المساعدة قبلنا ، ومن يفتح قلبه وكيسه قبل أبناء

ورسالته الى هكل ، وسأبعث بنسخة من هذه الرسالة الى  
المستر روزفلت

« يسرني وجود رجل كالدكتور شميل في الشرق لان  
هذا الرجل لازم لهدم الافكار القديمة التي يتقبلها الناس بلا  
بحث ولا جدال ، كأن ليس لافكارهم أهمية الا بقدمها .  
أفكار يزيد في ثقلها صدأ الأجيال ويحاول حفظها التعصب  
الذي يحيط بها بقوة ودقة كأنه نسج العنكبوت . فأمثال  
الدكتور شميل يمزقون خيوط العنكبوت ويبيدون الصداً  
وقاعدته دفعة واحدة . ولا بأس من هيجان المجموع لهذه  
الفوضى ، فهياجه ضروري بل لا بد منه . أمثال الدكتور هم  
العنصر الهادم ما في الجمعيات والاديان من الغلو والافراط ،  
وهم فاتحو الطريق للذين سيقومون أسساً جديدة ملائمة  
لمطالب العصر ومعارفه . والآخرون لا يتمكنون من  
العمل الا اذا عمل قبلهم الأولون

« تعجبين لماذا لا يشيد الدكتور شميل أثراً مكان الأثر  
الذي يهدمه . لكن لا عجب في ذلك . اذكر ديكرات

# بين الدكتور شميلي

والكاتب الامريكى

منذ شهرين تقريباً نشر الدكتور شبلي شميلي رسالته الى العالم الالماني هكل، باللغة الفرنسية، و اردت ان اعرف رأي الاجانب في الرسالة ومؤلفها، فبعثتُ بها الى كاتب امريكاني زار مصر وأحب وادينا حباً جمّاً. وشفعت الرسالة بتفاصيل عن الدكتور وأظواره الغريبة التي تجعل له شخصيتين تكاد الواحدة منهما تناقض الاخرى. وأخبرته ان الدكتور شميلي غاضب على الامريكان لانهم لا يساعدون الحلفاء على دحر المانيا، وانه يقول عنهم انهم أنانيون. فجاء الجواب وها أنا انشره ضاحكاً، لانه يهمني كثيراً ان يتخاصم الرجلان وهما على مسافة ستة آلاف ميل بين الواحد والآخر:

« قرأت باهتمام ما كتبته عن الدكتور شميلي

بالاشواق والتحيات والسلام

أما الآن فأخذنا نكتب لنعبر عن شيء نريد ان يفهمه من مخاطب . فاذا اطاعت على رسالة تيسر لك الحكم على ذوق كاتبها ومعارفه ودرجة تربيته ومكانته الاجتماعية . فأخذ ينطبق علينا مبدأ « الانشاء هو الشخص »

غير ان أهل الذوق وجدوا في كل آن وزمان . وبيننا كان المجموع يملأ صحيفة الرسالة بالمبالغة والإغراق كانت الخاصة تكتب كتابة الإيجاز والبلاغة . كل منا يعرف رسالة المتنبي الى صديق كان يعود في مرضه فانقطع عنه بعد الشفاء فكتب اليه المتنبي يقول : « وصاتني ، وصلك الله ، معتلاً ، وقطعتني مبعلاً . فان رأيت ان تحب العلة الي ولا تكدر الصحة علي ، فعلت ان شاء الله »

وتحسب هذه الكلمة من بدائع الانشاء

لقد كانت خاصة العرب أهل ذوق وكفاءة . فاحر بنا الاحتفاظ بجميل الموروث بيننا نتقف أفكارنا وأقلامنا

( ١٩١٥ )

على نافع المكتسب



ثم أرجوان تذكراني بدأت تلك الجملة بكلمة « لو » ، وهل أنت من يخفى عليه قول الفرنسيس بإمكان وضع باريس في زجاجة اذا ما استعملت كلمة « لو » ؟ ولا أظنك محتجاً على وضع باريس في زجاجة ، على شريطة ان تكون الزجاجة غير المائية لئلا تملأ بالغازات السامة . وإني لموافقة على ذلك . وكل هذا الكلام أقوله لأنسيك شطب تلك الجملة الاثيمة — أنساكها الله !

\*\*\*

لقد تحسبن فن الانشاء في أيامنا . بالأمس كانوا يكتبون طويلاً دون ان يقولوا شيئاً إذ لم يكن معظم الرسائل غير استعارات محفوظة واسجاع مرصوفة . فبعد « غب الشوق » الاصولية كان مراسلك يبعث اليك « بسلام ، لو كان ذا أجسام لملأ الارض بالتمام » — دون ان يترك للأرض هامشاً ! و « بتحيات أزكى من النعماني (أو من « نفس النعماني » لا أدري) بين ورق الخزامى » . كذلك يبدأ الخطاب بالسلام والتحيات والاشواق ويختمه

## رسائلنا اليوم وبالأمس

بعض الأوامر السلطانية تستوقف نظر الأديب برشيق أسلوبها وبلغ إيجازها . منها الأمر الذي صدر بتعيين صاحب العزة محمود نخري بك<sup>(١)</sup> أميناً أول لعظمة السلطان . وما دامت سراي عابدين تهتم بأساليب الانشاء فحقّ لحبي الأدب ان يرجوا . ولو كنت رجلاً وجاز لي البحث في ما يختص بالرجال لتمنيتُ لدواوين الحكومة ان تحذو حذو السراي السلطانية فتتوب عن اللغة والأللوب السقيمين المستعملين في أوامرها ومراسلاتها

اسمك مزجراً يا سيدي الرقيب ، وقد اقترب قلمك من جهاتي هذه يقصد الفتك بها . فاصغ إليّ غير . أمور ! لا أنت جندي الماني ولا أنا جندي فرنسوي ولا هذه الصفحة كنيسة ريمس . فكن حليماً ولا تحذف منها شيئاً .

(١) حضرة صاحب المعالي محمود نخري باشا اليوم

احتياجنا شديد الى مثل هذه الكلمة « ثقوا  
بالانسان ! »

اما جاءكم خبرُ ذلك العالم الالماني الذي كان يدفع الى  
ابنته البالغة من العمر ١٦ سنة رسائلها مخنومة . ولما لامه  
أحدُ أصدقائه أجاب « ثقتي بالنظرة الذسائية عظيمة . لا أقرأ  
رسائل ابنتي بل أعرض عليها رسائلي . وعوضاً عن ان اشحن  
دماغها بأرائي ونصائحي التي قد لا تتفق مع ظروف حياتها  
أسألها رأيها في كل ما يشكل عليّ من الامور . فالمرأة أوفر  
من الرجل نبلاً لانها أقرب منه الى سراير الاحوال وقلب  
الاشياء »

مع هذا الرجل الحكيم أقول « ثقوا بجوهر المرأة !  
ثقوا بابنة اليوم تجردوا ابناء الغد أهلاً للثقة ! »

( ابريل سنة ١٩١٣ )

وعجزت عن اتيان عملٍ فرديٍّ تدفمها اليه ارادتها بالاشترك  
مع ضميرها ماهي الا عبدة قد تصير في المستقبل « والدة »  
ولكنها لا تصير « أمّاً » وان دعاها أبناءها بهذا الاسم . لان  
في « الامومة » معنى ربيعاً يسمو بالمرأة الى الاشراف على  
النفوس والافكار . والعبدة لا تربى الا عبيداً . ولا خير في  
رجالٍ ليس لهم من الرجولة غير ما يدعون ، ان هم سادوا  
فعلوا بالقوة الوحشية وهي مظهر من مظاهر العبودية . اولئك  
سوف يكونون ابدًا اسرى الاهواء وعبيد الصغائر الهابطة  
بهم الى حيث لا يعلمون ، الى الفناء المعنوي ، الى الموت  
في الحياة

تربيتنا الناقصة جعلتنا نسيء الظن في كل شخصٍ وفي  
كل أمرٍ . ريح سموم تهبُّ على المجتمع فتصبغ الجو وما يحويه  
بلونٍ قائم خبيث . ولو انصف الناس لحكموا على بعضهم  
بعدلٍ وصدق فأراحوا واستراحوا . الخير أصلٌ في الحياة  
وليس الشرُّ شراً الا لاننا أشرار ، ولا ظلام حولنا الا  
الظلام المنبثق من شكوكنا وأحزاننا ومطامعنا

لم تكن هذه الغاية نصب عيون الوالدين ولم تثقف الناشئة على مبادئ التهذيب القويم فقدت آماننا بالمستقبل القريب. وأول قواعد التهذيب معرفة الواجب، وشرط معرفة الواجب الشعور بالحرية

أقول الحرية وأعنيها، وهي ليست الاباحية كما يزعم كثيرون. والفرق بينهما ان للواحدة حدوداً تهدمها الاخرى وتتجاوزها

على الوالدين ان يقوموا بما عليهم نحو الابناء ثم فليتركوهم وشأنهم يأتون ما يميلون اليه والضمير الحلي يراقبهم والخلق القويم يحميهم. فان جاء عملهم بخير كان فيه تعزية وتشجيع على المثابرة والاقدام، وان جاء بشرّ كان أمثلة مفيدة ومادة اختبارٍ ينتفع بها في الكوارث والرزايا المألثة سبل العمر

كل امرئٍ يحيا حياته وعليه ان يجد طريقه بين متشعب المسالك، وهو مسؤول عن كل عملٍ يأتيه ويتحمل نتائجه ان فائدة وان اذى. فالفتاة التي اعتادت الانقياد لآراء والديها

لثقل على وفق الايقاعات الموسيقية من يد رجل الى يد  
آخر . فضلا عما يجيزه « تمدينا » الحديث من مداعبة  
كلامية يسميها الغربيون « فلورت » ويستعملها كثيرون منا  
دون ان يحاولوا ايجاد اسم لها

فكيف نوفق بين النقيضين ؟ بين التساهل في  
قبول العادات الاوربية المتفشية بيننا وبين الاستعباد  
الشرقي الراكد في مستنقعات نفوسنا ؟ ان هذا اخلال  
في توازن التربية يعذب الشبية ويجعلها أليفة الحيرة والتردد  
جاهلة بهما قيمة الحياة . إنما الحياة في قيمة نفسها اليها .  
فكيف نهتدي الى قيمة الحياة التي لا تبرز الا للمنتبه المتيقظ  
الواثق من حريته في القول والعمل - كيف نهتدي اليها في  
هذا التناقض المبين : تناقض الضغط الشديد والتهور المجارف ؟

\*\*\*

انما التربية ترمي الى غاية واحدة هي توسيع دائرة الحياة  
وتأهيل الفرد للسير بحذق والتصرف باعتدال بين تشعب  
الشؤون ، مستخرجاً وسائل السعادة والفائدة مما يحيط به . فان



يتألف التهذيب من أعمال وحركات متتابعة مدة  
أعوام بين الآباء والابناء كما يتركب تمرين الاعضاء من  
حركات مستطردة يأتيها الفرد في أوقات معينة فتكسبه  
خفة ورشاقة وانتظاماً

وان لم يروض المرء أعضائه ضعفت وأمسست ضخمة  
الشكل بطيئة الحركة ، وقد يذهب به الجود الى فقد  
الصحة . فما اخلل الذي نراه الآن في تربيتنا الا نتيجة  
جود الاعضاء المعنوية من نشء الاجيال الماضية ولاننا  
جميعاً عميد الجهل المقيم والضغط القديم

لماذا ترأب مراسلات الفتيات ؟ سمعتُ عن رجل ينهي  
شقيقته عن مراسلة صديقة لها خوفاً من أن يطلع أخوها  
على تلك الرسائل ؛ ثم اتصل بي ان ذلك الرجل الذي يظن  
نفسه حراً أليماً ( ١ ؟ ) يقضي ليله وشقيقته هذه حول طاولة  
البركر مع شبان آخرين وفتيات اخريات ؛ ورأيته وإياها  
يحتسيان الجمرة في حانة يتصاعد في جوانبها لهات السكارى ؛  
ورأيته فيما بعد داخلها عارية البحر والذارعين الى المرقص

ان أحفظ حقي في أن يكون لدي أسرار . وهذه المعاملة تعذبني منذ شهور لانها تمّ عن ضعف ثقتهم بي وأنا لم أفعل قط ما يستوجب سوء الظن . وصرت أتألم كلما وردت اليّ رسالة لأنها تذكرني بأن في بيتنا قلم مراقبة منظم »  
 ورفعت رأسها ناظرة الى الزهرات الفرحة بأنفاس الربيع وأرسلت زفرة عميقة ، ثم قالت « معاملة كهذه تحملي على الشك في صاحبي وكرهاتي . وقد يدفعني الغيظ والكبرياء الى فعل ما لا أفعله لو كان لأهلي بي ثقة . النبات حرٌّ فلماذا لا يكون الناس أحراراً ؟ »

\*\*\*

مسئلة تافهة في ذاتها . ولكنها تتكرر بين الوالدين والأبناء فتفضي الى احد اثنين : التمرد او العبودية وكلاهما سيء . بل العبودية وحدها ممقوتة والتمرد نبيل في الغالب يدل على القوة والحياة . ولكن كثيراً هم الابناء الذين يجدون ضغط الوالدين على حريتهم أمراً طبيعياً فلا يزالون لأن نفوسهم عقيمة قاحلة لا ينمو فيها غير الشوك والعوسج

قلت « ماذا يحزنك ؟ »

قالت « يحزنني الربيع . تحزنني هذه الازهار الزرقاء  
والصفراء والحمراء . انها تنور على أطراف الاغصان وتبرز  
جمالها وسط جمال الكون . انها تستنشق الهواء بكل ما فيها  
من قابلية وتمتع بالحياة بكل ما فيها من استعداد . فلماذا  
قُدِّر على بني الانسان أن يكونوا دون النبات حرية ؟ »

قلت « قولي لي سبب حزنك ؟ »

قالت « مسئلة تافهة اعادت اليّ التأمّل في هذا الصباح  
كما نهتهُ فيّ قبل الآن . لي شقيقة تقطن الاسكندرية مع  
زوجها - ولي بها ولها بي ولع عظيم فتكاتب مرة في  
الاسبوع . على ان تمرّ رسائلها تحت نظر والدي ووالدتي  
وأخي وأختي وأخي الاصغر حتى تنتهي اليّ بالتالي لأني  
أحدث أفراد العائلة سناً . ولا يلتقي خطابي اليها في صندوق  
البريد الا بعد ان يطالع عليه وينتقده ذويّ . مع ان  
مراسلتنا عادية ساذجة ، لا أهمية لها الا بكونها جزءاً  
من حياتنا . وليس لديّ من سرٍّ أخفيه ولكني أريد

## قتل النفوس

رأيتها تنظر الى الاشجار بعينين كئيبتين وشفتاها  
مطبقتان كأن قبلة الاسف طُبعت عليهما . كانت لي رفيقة  
في الصغر : تعلمنا شهوراً في مدرسة واحدة ، ودرسنا أمثلة  
واحدة ، وسمعنا إرشاداً واحداً ، وكبرنا فكانت تلك العلاقة  
الواهية متينة بيننا

قلتُ « مالي أراكِ حزينة ؟ »

قالت « يحزني الربيع »

قلتُ « اخبريني ما بكِ »

قالت « يحزني الربيع . يحزني ان أرى مواكبه الجميلة  
تسير في الفضاء فلا يراه البشر إلا من كوى ضيقة نُقبت  
في الجدران الحديدية التي أقامها المجتمع حول الأرواح .  
ويحزني ألا أكون مستقلة بكوتي وان يكون للآخرين  
حقوق عليها يفتحونها ويغلقونها كيفما شاءوا لا مثلاً  
أريد »

منتظرون؟ اذا مرت قدم الدهر على هذه المئانة الحصينة  
فهرستها هرساً فاذا تعني بعد ذلك حركة قصبتيكم الضئيلة  
ونقش طروسكم البالية؟ أين من المسافة موضعها وما هو من  
الخلود نصيبها؟

ضموا الى شفاهكم الاقلام والى قلوبكم الطروس ،  
دعوها تنطق يائساً وحباً باسم قلعة بعلبك ، ثم حطموها وان  
عزّت ، وهزّ قورها وان كانت شطراً من الارواح  
الزمان يتابع المسير فويلاً لتربة تدوسها قننه ! هناك  
تزلزل الزلازل ، وتهدم السدود ، وتطغى البحار ، هناك يشعر  
الانسان بأنه عبد حظات الاقدار وأنه لا يعرف من اسرار  
الأرض غير أسوداد الليل وابيضاض النهار . . .

( كتبت في أواخر سنة ١٩١١ )

رائحة الا كفان تفوح لدى هذا النهدم الشامل  
وتتكشف معاني القبور ، وينتشر في الهواء عطر المجامر وتُعقد  
غيوم البخور ، وتعود الايادي القديمة الى نحر تلك الضحايا  
والقرايين على أنصاب لاشتها يدُ الدهور

كسروا الاقلام ومزقوا الطروس ! إنما هذا موقف  
لا تأيين فيه بغير حزن الجماد ولوعة النفوس

أحزنَ الجماد ، لا زلتَ للأفئدة مفطراً ما طرحت  
عبرُ الزمان الجبارة على حضيض الهوان ! الوعةُ النفوس ،  
لا زلتَ لاذعة ما بُترت سلسلة الآجال واعملت حركة القلوب !  
آثار الحياة ، لا زلتَ غاليةً كآمال المنى وسواد العيون  
ما ذوت الآمال بالتمائل وما بيّض سواد الموتِ سواد  
العيون ! الأعمدة بعلبك ، لا زلتَ مهشمة ، صامتة ، منحنية ،  
كئيبية ما سعى ديبُ المنى في زوايا المهج وتمايلت أشباح  
الآلام والواجع طيَّ القلوب والصدور !

إذا هزأ الدهر بهذه الجدران المنيعه فماذا أتم من الدهر  
منتظرون ؟ إذا مرت قدمُ الدهر على هذه المتانة الحصينة



العصرية تقف مترددة بين الهزوء والاحترام امام معابد آلهة  
خرافية تضحكننا الآن اسماؤها، وتعاقب عليها مشاعر حجة  
من خوف وشفقة واعجاب وسخرية لتتغلب عليها عاطفة  
تضم في رحابها قوى النفس جميعاً، وهي الشعور بعمق  
السِّرِّ العظيم، سر البقاء رغم الفناء...

وهناك على مرتفع هيكل الشمس تقف أعمدة ستة  
حاملة إفريزاً كأنه تاج مكسر تنحني تحته رؤوسها على  
وهدة عزها المتفتت. وما انحناء تلك الاعمدة الا رثاء  
وتأبين، بل هو التأبين الوحيد اللائق بهيكل بعلبك...  
وثلوج لبنان التي تجهل أي خطب جرى تنظر من  
عل الى حزن الجماد الدهري وتود أن تفهم علة انهيار الجدران  
والاعمدة والابراج وأنى لها ان تفهم...

\*\*\*

ألا كسروا باليأس الأقلام، وأزبلوا المداد عن  
الطروس، وأسكتوا الشفاه المتكلمة، وألجموا الايدي عن  
التجبير والكتابة!

مشيتُ في عالمٍ مشوّهٍ من البدائع الفنية دهشة كيف سطا  
الزمان عليها، كأنها غابةٌ هاجمتها الزوابع فكسّرت منها  
الاشجار، واقتلعت الاصول، وتركت الاغصان ملقاةً على  
حضيض الهوان

أين من هذه الضخامة والمتانة قصور عصرنا  
وصروحه ! انها لتخال الأعيب صبيانية شيدت ساعة فراغ  
ولهو، فيها الحمى تقوم مقام الحجارة والأشبار منها  
توازي الأميال

لقد تأبّت الشعوب على هذا الهيكل فهاجمت جدران  
مجده وخرّبت بديع معالنه . وحوّل المسيحيون جانباً  
منه الى كنيسة فسادوا المذابح على قوائم معابد الاصنام .  
ثم انقلبت الكنيسة وما يحيط بهما قلعة اسلامية حتى  
فاجأتها الزلازل فتخلّجت منها الاسس وانهارت الجدران ،  
ودكت ذلك العزّ إغارات الطبيعة بعد أن طغت عليه يد  
الانسان

لكن آثار المجد في بعلبك ظاهرة باقية . والنفس

تجسم حزني وجثا عند أعتاب القلعة باكيًا . ولست  
أدري أبكى هناك أسفًا على أعجوبة الدهور أم اكتئابًا  
لمشهد درجات أوجدتها هناك يدُ الغريب

عند مدخل هذا الهيكل الذي أقت أسسه شعوب  
شرقية جاء الأجنبي يضع درجات توصله إلى معابد الشرق  
القديم . مشهد أفعم نفسي غمًا كأن هذه الحجارة ثقلت  
عليَّ لأنها دليل تدخل الغربيِّ في قديمنا وجديدنا ،  
وعنوان طمعه في الاستيلاء على بلادنا . وكان أحرى به ان  
يتركنا وتراب هياكلنا العالي دون ان تأتي يده عاملة للتريم  
والاصلاح — ومدنسة ما قدسته دهور البلايا وعززته  
بلايا الدهور

دخلتُ امشي الهويناء بين اكوام الأخربة وبقايا  
الأبنية ، بين الاعمدة المطروحة على الحضيض كالعالمقة  
ورؤوس الاسود المتعانقة في تهشمها عناقًا أبديةً ، بين آثار  
شعب لاحق تختلطُ بآثار شعب سابق ، والتراب يتراكم في  
كل مكان متجمعًا في الأفاريز المرصضة والنقوش المحفورة .

بقدودها الهيفاء . أعمدة ستة هي كل ما سلم في وسط ذلك  
 التهدُّم ، وكأنها من أبعادِ وحشتها تنادي المسافر قائلةً :  
 « تعالَ انظر اليَّ أيُّ هذا المارَّ ، فهل عرفت حزناً أشد من  
 حزني ؟ »

بقيةٌ عظيمةٌ من عظمةٍ بائدةٍ حيا لها أضخم الأشجار  
 أعشاب ، ذاك هو شبح الماضي المحاول تخليد الأصنام  
 المعبودة . . . وثلوج لبنان التي رأت يوماً من مدينة الشمس  
 أبراج العزِّ متعالية في الفضاء ، تطلُّ الآن من شاهق  
 « فم الميزاب » و « ظهر القضيبي » مستفسرة عن سرِّ  
 هدم المعابد والأبراج

منذ ألوف الاعوام والثلوج تتراكم على هذه الذرى .  
 فالشمس تشرق ثم تغيب ، والصيف يأتي ويذهب الشتاء ،  
 وقلعة بعلبك موحشة في عظمتها المحطمة ؛ بينا ثلوج  
 لبنان تطل عليها مستفهمة أيَّ خطبٍ جرى واسكنها  
 لا تفهم

ويعرُّ بأخرى حتى وقف في محطة صوفر ، وهي أعلى نقطة فوق وادي حمّانا — ذلك الوادي الذي قل فيه لامرتين انه أجمل أودية العالم القديم . هناك تتطوّى التلال كالأقشة الحريرية وتمتد لمداعبه أطراف الجبال المحاذية ، تتناسق بينها دوائر أظلتها الأشجار ، وتتخللها القرى ذوات المساكن البيضاء متوّجة بالقرميد الأحمر . وهناك هناك على الشاطئ البعيد ربضت الآكام كأسودٍ تحمي بجرّاً بسط لديها زرقته الفسيحة وارتفع عند الافق كمن يستمد من الجورّ نعمة ما . هذا وبيروت تستوي على شفة البحر استواء المليكة على عرشها

ثم أخذ القطارُ ينحدرُ الى سهول البقاع وقد قامت على جانبيها سلسلتا جبال لبنان وانتي لبنان كما تحديق اسوار الدهر بمروج الأبدية . وبعد السير في السهل نحو ثلاث ساعات تراءى لنا في عصارى النهار طيفُ مدينة « باعال » يحيط بها نطاق سندسي من شجر الفاكهة والخور الرجراج ، وتعالى فوق المنازل منها والحدائق أعمدة هيكل الشمس

## ذكري قلعتا بعلمك

« معبد الاسرار قام ولكن صنعه كان أعظم الاسرار »

خليل مطران

تحرّك القطار صباحاً في محطة بيروت وهو يهدر  
 ويترجّر ويقذف دخاناً كثيفاً أثقل الهواء وترامى على صفحة  
 الامواج فعكّر صفائها. وما فتىء زئيره الهائل كزئير  
 الاسود يتردد في جوانب الفضاء حتى كاد الصدى منه  
 ينتهي الى أخربة بعلمك هامساً « لقد سبقتُ الآخرين  
 لأهزأ بك ، يا أشباح البلى ، اهزأ بك في نغمتي على أناسٍ  
 يستخدمونني أنا إحدى آيات الاختراع الحديث لينزوروك  
 - انتِ رمال الليالي الغاديات وبقايا الأيام الخوالي ا »

وما لبثت ان اسرع القطار في سيره متلويًا بين  
 الأشجار ، وكأن سخطة هداً تحت قبلات نسيم الجبال  
 خفّ زئيره ؛ وتدرّج متسلقاً اكتاف لبنان يترك محطة



جميع الأشياء انتعشت انتعاش من خرج من أزمة

وانفج

وأنت أيُّ علةٍ تضنكِ فتلويين وتتاوهين؟

ألا أحرصى على قلبك ، أيتها الفتاة !

\*\*\*

جاء المساء مرةً أخرى ؛ جاء المساء وتبعه الليل

وعيناك قرب السراج جامدتان جمود من يتأمل جثة

فأشعر بأن شيئاً فيك أمسى جثة

لقد استسامت لجمال المساء فطعنك المساء بسكينٍ منه

سريّ يقطرُ دماً وظلاماً

أخضعتِ نفسك لسحرِ الغروب ولم تحرصى على

قلبك !

أما الآن وقد فرطتِ به فأحرصى على الجرح المنفتح

فيه -

أحرصى على جرح قلبك ، أيتها الفتاة !

وانتعشت جميع الاشياء انتعاش من خرج من أزمة  
وانفرج ،

أما أنتِ فتلوبين جائعة عطشى ،

تقولين ما يجب ألا يُقال وتفعلين ما يجب ألا يُفعل ،  
ثم تأسفين على القول والفعل وتعودين تلوبين -

ووراء المللِ والسآمة وهيجُ فيكِ واحترام ؛  
اخبريني ما بكِ ، أيتها الفتاة !

لماذا أرائكِ عند نافذتي ترقبين ما ليس بالموجود  
وتشتافين ما ليس بالبادي ؟

وإذا تحولتُ عنكِ الى مرآتي رأيتُ هناك وجهك  
مفجعاً حزيناً ؟

أهو أملٌ غزا نفسكِ فثقلُ على فؤادِ منكِ اعتاد  
القنوط ؟

أم قرب تهليل الأملِ يأسٌ ينتحبُ وشعورٌ بالفشل  
طالما خالط الرجاء ؟

## أحرصني على قلبك

أرعى الشفقُ سدولهُ على الأرض بطيئاً  
ولفقت حواشي السحبُ بخيوط الذهب والفضة،  
وتلاشي ما كان يبدو كبحيرات الياقوت وبرك الزهرُ

حيال عرش الغروب ،

وغشت الأرض كآبةً رداءً ،

وغشت عينيكِ كآبةً رداءً ؛

أيُّ شمسٍ تغيبُ فيكِ ، أيتها الفتاة ، ولماذا يُشجيكِ

المساء لتغشى عينيكِ هذه الكآبة الرداء ؟

ألا أحرصني على قلبكِ ، أيتها الفتاة !

\*\*\*

تجلّت الشمسُ في الأوج تحت رواقِ الفلك ،

والاشعة تغازل الأزهار وتوسع المياه عناقاً وتلويناً ،

والمنازلُ تسطع كحجارة كبيرة من نور ؛

شرع العدل والحقيقة ان تُرمى جميع أعمالنا بالضعف النسائي  
 وان يطلق عليها الحكم بلا بحثٍ ومقارنةٍ  
 لقد غالى بعض المفكرين ، لا سيما بعض الذين أقنعوا  
 نفوسهم بأنهم مفكرون ؛ لقد غالى هؤلاء في فصل المرأة  
 عن النوع الانساني الذي كادوا يحصرونه في الرجل . والواقع  
 ان كلَّ حمية تهزُّ المرأة إنما تنطلق من النفس الانسانية  
 الشاملة ، وكلُّ نقص يشوبها إنما يرجعُ الى العجز البشري  
 الشائع ، وكلُّ أثرٍ من آثار ذكائها إنما هو وجهٌ من وجوه  
 الفكر الانساني العام

يزعم الجمهور إن رغبته في تذوق إنشاء المرأة لا تُعربُ  
 عن إكباره لذلك الإنشاء، أو عن اقراره بصدق الفراسة  
 منها. وإنما لان في كتابتها مظهرًا من مظاهر الذات النسائية  
 العامة

خطوة صالحة نحو تكريم الأدب النسائي، إلا ان فيها  
 من الظلم وغمط الحقوق ما فيها. نحن نحبُ الحلم، ونطلب  
 التساهل، وزيدان يستعان في الحكم علينا « بالظروف  
 الخفيفة » - كما يقول سادتنا الحقوقيون. نريد ذلك لأننا  
 مبتدئات. نريده لأننا مبتدئات ولأننا بنات يومٍ تشرق  
 علينا شمسُه نخلق أنفسنا بأيدينا، ونكتشفُ الطرق في  
 غاباتٍ مهجورة، ونهد السُّبُل بين الصخور والأدغال لنا  
 وللآتيات بعدنا

إفساح المجال علينا عسير. فنشكرُ للحليم تغاضيه  
 عن الغصور في عملنا وانتباهه لضالة وراثتنا في عالم القلم -  
 كما نشكرُ للناقد الكيس ما يُبينه لنا من أغلاطٍ ناتجةٍ  
 عن ضعف الفتاة وقلة اختبارها. ولكنه لا يجوز في

## السانحة الاولى

نحن الفتيات أسيرات الأزياء، وعبادات التبرُّج، ولعب  
الاهواء - أنكتب نحن فتيات اليوم؟

نعم، صرنا نكتب ليس بمعنى تسويد الصحائف فحسب  
بل بمعنى الانتباه للشعور قبل التعبير. لقد خبرنا الاختلاء  
بذواتنا فأقبلنا على تفهم معاني الحياة نتفرس في المشاهد بأبصارٍ  
جديدة، ونصغي الى الاصوات بمسامع منتبهة، ونشوق الى  
الحرية والاستقلال بقلوب طروبة، ونعبرُ عن النزعات  
بأقلامٍ يشفعُ الاخلاصُ في تردُّدها. إن الأمر كذلك.  
وجرأتنا هذه لم تبدُ من اللآي سبقنا، وإقدامنا لم يألفه  
الرجل من سوانا، والجمهور يرقبنا بنظرةٍ خاصة تائقاً الى  
تصفحِ نفس المرأة في ما تصفُ به ذاتها وليس في ما يرويهِ  
عنها الكاتبون

وما الغرض من ذلك؟





وهذا اللغة لغة المدان وتند جوارنا القوس  
فلا تحيل كالاوراق التي تحف في الربيع وتزوي في السواد.  
اجمع جنة عفة وكليل بر - ووسن هذه الاغنام - الناس  
في حابة الالهة الاظم الالات -

هذه تحت تجيد وساد اضلا تحت ادمك فاه  
بلغت ذلك المقام فحي  
مع المفعول  
~~صالح~~

الاقدم الرشد الالفة بي

عدد ٢٥٥٠ ابريل ١٩١٤

سيدتي

وددت لوالدتي من الكلام ما يسرحتي يسرحتي اليك  
في اوجك العاليا . انا فزانه . انظر فاري فقدر باهوا  
ولصوتني اما تلك الحاسة . ثم يستوقفه عرفاني بعجزني .  
يا بيت القلبيد في يدنر القدرة . ليضائبات العود وتفر  
سنتا اربس واوزيس .

لا ادري ما اصف بجلستك الربيب ام صوتك ارضم  
ام كلامك الفينا ام فذك المنير . اقل ما في هذه اللجان  
يدعه عن نفسي و يبعثني عن الاطالمة . ادر آيا .  
كانت يا في دولة القف مكانة . وايوم استه الام

اني اكاد الهوي في عيار . انا كاطبيعة في كل  
بدائله ولكنك منقلب . وانا ثابت . ولا اقولك  
الامر سلفته في سيات الرقة ولامه جا وزينه  
وه سيات الفرب . ولا اقول انا حمامة الودع  
فتلك بجماد وانا صوية . ولكني اقول انك بيل  
الق . اصادح في رومه الحياة .

فيما يلي صورة كتاب بخط المرحوم ولي الدين بك  
يكن يقترح فيه على الآنسة مي جمع سوانحها في  
كتاب . ولا ريب ان هذا الاثر النفيس هو خير ما  
ينشر مقدمة لسوانح أديبتنا الكبيرة - لا سيما وان  
صاحبه كتبه لهذا الغرض ادارة المهول

١٣١٦

PJ

7276

1973

713178

٢٧ - ٢ - ١٣٢٢

Ziyadah, Marie

# سوانح فتاة

بمجلد ٢

بقلم الأنسة « مي »

Sawānīh fatāh

نشرته

ادارة « الهلال »

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

مطبعة الهلال بشارع نوبار بمصر

سنة ١٩٢٢





٢٢٠-٦-٢

# سَوَاحِجُ فَنَاءِ بِجَنَّةِ

بقلم الأنسة « مي »

نشرته

ادارة « الهلال »

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

مطبعة الهلال بشارع نوبار بمصر

سنة ١٩٢٢





PJ  
7876  
I92S3

Ziyādah, Marie  
Sawānih fatāh

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---



